رجال الكشي ونظرية تطوّر الإمامة
(الشيعة بين الغلاة والمقصرة)

محمد باقر ملكيان

قد زعم بعض المعاصرين[١] أنّ كلّ صفة من صفات الأئمّة التي هي فوق صفات سائر الناس ليس له أصل صريح ونصّ صحيح، بل كلّ ما روي في ذلك من اختلاق الغلاة ووضعهم.

وبنى زعمه هذا على مقدّمات:

١. إنّ القرآن يصرّح:

أ. بأنّ الخالق والرازق[٢] هو الله تعالى شأنه.

ب. وأنّه (عزّ وجلّ) يعلم الغيب وما يخفى[٣].

ج. وهو ـ تبارك وتعالى ـ المقنّن والمشرّع[٤].

والمتفاهم العرفي من هذه النصوص أنّ هذه الصفات تختصّ بالله (عزّ وجلّ) فقط، وهذا لا يناسب تفويض هذه الصفات إلى غيره أيضاً كما قال به المشركون وعابدوا الصنام[٥].

٢. القرآن يصرّح بأنّ الأنبياء ـ كسائر الناس ـ يعيشون معهم ويموتون[٦].

والفرق بينهم وبين سائر الناس في الإيحاء إليهم[٧] فحسب[٨].

٣. بعد ما توفّي رسول الله ظهر جذور الغلو في المجتمع الإسلامي، وهذا اشتدّ في عصر الصادق عليه السلام بحيث برز الغلو في صورة فِرَق، كالخطابية(٩).

فهم أحدثوا في الإسلام بدعاً كثيرة(١٠).

منها: القول بأنّ الأئمة من آل محمّد يعلمون الغيب، بل قالوا بالتفويض ومن هنا اشتهروا بالمفوّضة.

فهم اعتقدوا أنّ النبيّ والأئمة هم أوّل من خلق الله وهو (عزّ وجلّ) خلقهم بيده من طينة تختلف عن طينة سائر الناس(١١).

ثمّ إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ فوّض أمور هذا العالم ـ من الخلق والرزق والإحياء والإماتة(١٢) وتشريع الأحكام(١٣) ـ إليهم.

٤. وبإزاء الغلاة قد قال جماعة من أكابر الشيعة وثقاتهم بأنّ الأئمة هم علماء أبرار(١٤)، منهم عبد الله بن أبي يعفور(١٥).

إلا أنّ الغلاة والمفوضّة أظهروا لهم العداوة بل وضعوا في التشنيع عليهم أحاديثاً، فمثلاً اختلقوا على لسان الإمام الصادق عليه السلام بأنّ الذين شيّعوا جنازة عبد الله بن أبي يعفور هم مرجئة الشيعة(١٦)!

ومن بعدهم وصلت النوبة إلى علماء مدرسة قم ومحدّثيها، فهم واجهوا الغلاة والمفوضّة بشدّة وتعاملوا معهم تعاملاً حادّاً(١٧).

فمثلاً أخرجوا بعض الغلاة من قم.

منهم سهل بن زياد فقال النجاشي فيه: كان أحمد بن محمّد بن عيسى يشهد عليه بالغلو والكذب وأخرجه من قم إلى الري وكان يسكنها(١٨).

وقال في أبي سمينة محمّد بن عليّ القرشي الصيرفي: كان ورد قم ـ وقد اشتهر بالكذب بالكوفة ـ ونزل على أحمد بن محمّد بن عيسى مدّة، ثمّ تشهر بالغلو، فجفي، وأخرجه أحمد بن محمّد بن عيسى عن قم، وله قصّة(١٩).

وقال الكشي في الحسين بن عبيد الله المحرّر: ذكره أبو عليّ أحمد بن عليّ السّلوليّ شقران، قرابة الحسن بن خرّزاذ وختنه على أخته: إنّ الحسين بن عبيد الله القمّيّ أخرج من قمّ في وقت كانوا يخرجون منها من اتّهموه بالغلوّ(٢٠).

بل قد قصدوا قتل من اتّهم بالغلو مثل ابن أرومة.

قال النجاشي في ترجمته: ذكره القميون وغمزوا عليه ورموه بالغلو حتّى دس عليه من يفتك به، فوجدوه يصلّي من أوّل الليل إلى آخره فتوقّفوا عنه. وقال بعض أصحابنا: إنّه رأى توقيعاً من أبي الحسن الثالث عليه السلام إلى أهل قم في معنى محمّد بن أورمة وبراءته ممّا قذف به(٢١).

٥. وبإزاء علماء مدرسة قم جماعة من المفوضّة حيث أنكروا على علماء قم واتّهموهم بأنّهم مقصّرون(٢٢)، أي إنّهم قصر فهمهم عن درك مقام الأئمة وعلوّ شأنهم(٢٣).

هذا ملخّص ما ذكره في المقام(٢٤).

ولكن أنّ ما ذكره وادّعاه خلاف مقتضى التحقيق بل ذلك كلّه خلط وخبط.

وبيان ذلك:

قد مرّ منّا أنّ كتاب الكشي مشتمل على نصوص حول اعتقادات الشيعة حول مسألة الإمامة عبر السنين والقرون.

والآن نحن بصدد بيان تفصيل ذلك؛ فنقول ـ ومن الله (عزّ وجلّ) نستمدّ التوفيق ونسأله الهداية ـ:

إنّ الذي يظهر من تتبّع نصوص هذا الكتاب أنّ الشيعة قد مرّت بها في مبحث الإمامة ثلاثة أدوار ومراحل:

الدور الأوّل: ويبتدئ هذا الدور من أوّل يوم طرحت مسألة الإمامة في الإسلام إلى عهد الصادقين .

الدور الثاني: ويبتدئ هذا الدور من عهد الصادقين إلى ابتداء إمامة الإمام المهديّ ـ روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء ـ أي الغيبة الصغرى.

الدور الثالث: ويبتدئ هذا الدور من الغيبة الصغرى إلى الغيبة الكبرى.

وهذا إجمال هذه الأدوار، وأمّا تفصيله فإليك بيانه:

الدور الأوّل

(عصر الرسالة ـ عهد الصادقين عليهما السلام)

إنّ مسألة الإمامة قد طرحت منذ عهد النبيّ وتلوّحاً لمسألة النبوّة. ولعلّنا نجد أوّل إظهار لهذه المسألة حين إنذار العشيرة.

فروى الشيخ الصدوق بالإسناد عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: لمّا نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين﴾ ورهطك المخلصين دعا رسول الله بني عبد المطّلب وهم إذ ذاك أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً فقال: أيّكم يكون أخي ووصيّي ووارثي ووزيري وخليفتي فيكم بعدي؟ فعرض عليهم ذلك رجلاً رجلاً كلّهم يأبى ذلك حتّى أتى عليّ، فقلت: أنا يا رسول الله، فقال: يا بني عبد المطّلب هذا أخي ووارثي ووصيّي ووزيري وخليفتي فيكم بعدي، فقام القوم يضحك بعضهم إلى بعض ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع وتطيع لهذا الغلام[٢٥].

وامتدّ إظهار هذه المسألة إلى حجّة الوداع في غدير خم[٢٦]، وإلى مرض موت النبيّ حين دعا بقلم ودواة[٢٧].

فمن هذا العهد طرحت مسألة الإمامة إلا أنّ طرح مسألة الإمامة في هذا العهد بدائية وليس فيها إلا غرس الاصطلاح بشكل بسيط جدّاً، ثمّ طرح بعض الجذور الأساسية.

وكيفما كان، الإمامي في هذا العهد هو كلّ من قال بإمامة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وخلافته نصّاً ووصية ولم يبحث عن صفات الإمام ـ ككونه عالماً بالغيب مثلاً ـ إلا كونه منصوصاً.

ففي رجال الكشي تجد المائز بين الشيعة وغيرهم في هذا العهد القول بتقديم أمير المؤمنين عليه السلام على غيره في الإمامة.

ولهذا شواهد كثيرة:

فروى الكشي في المهديّ مولى عثمان مسنداً عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام: أنّ المهديّ مولى عثمان أتى فبايع أمير المؤمنين عليه السلام ـ ومحمّد بن أبي بكر جالس ـ، قال: أبايعك على أنّ الأمر كان لك أوّلاً وأبرأ من فلان وفلان، فبايعه[٢٨].

وروى في محمّد بن أبي بكر مسنداً عن زرارة بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام أنّ محمّد بن أبي بكر بايع عليّاً عليه السلام على البراءة من أبيه[٢٩].

وروى في موضع آخر عن أبي بكر الحضرميّ قال: قال أبو جعفر عليه السلام: عليّ بن الحكم عن سيف بن عميرة، عن أبي بكر الحضرميّ، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: ارتدّ النّاس إلا ثلاثة نفر سلمان وأبو ذرّ والمقداد. قال: قلت: فعمّار؟ قال: قد كان جاض جَيْضةً ثمّ رجع.

ثمّ قال: إن أردت الّذي لم يشكّ ولم يدخله شيء فالمقداد.

فأمّا سلمان فإنّه عرض في قلبه عارض أنّ عند أمير المؤمنين عليه السلام اسم الله الأعظم لو تكلّم به لأخذتهم الأرض ـ وهو هكذا ـ، فلُبِّبَ ووُجِئَت عنقه حتّى تركت كالسّلقة، فمرّ به أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا أبا عبد الله هذا من ذاك بايع، فبايع.

وأمّا أبو ذرّ فأمره أمير المؤمنين عليه السلام بالسّكوت ولم يكن يأخذه في الله لومة لائم فأبى إلا أن يتكلّم فمرّ به عثمان فأمر به.

ثمّ أناب النّاس بعد فكان أوّل من أناب أبو ساسان الأنصاريّ وأبو عمرة وشتيرة وكانوا سبعةً، فلم يكن يعرف حقّ أمير المؤمنين عليه السلام إلا هؤلاء السّبعة(٣٠).

وروى في يحي بن أمّ الطّويل مسنداً عن صفوان، عمّن سمعه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ارتدّ النّاس بعد قتل الحسين عليه السلام إلا ثلاثةً: أبو خالد الكابليّ ويحي ابن أمّ الطّويل وجبير بن مطعم، ثمّ إنّ النّاس لحقوا وكثروا(٣١).

ومثله ما نقله النجاشي في ترجمة أبان بن تغلب حيث قال: الشيعة الذين إذا اختلف الناس عن رسول الله أخذوا بقول عليّ عليه السلام، وإذا اختلف الناس عن عليّ عليه السلام أخذوا بقول جعفر بن محمّد عليه السلام (٣٢).

كما أنّك لم تجد القول بكون الإمام عليه السلام عالماً بالغيب أو معصوماً في هذا العهد حتّى بين الخواصّ من أصحاب الأئمة ، بل تجد خلاف ذلك في بعض الأحيان.

قال الكشي في ميثم: روي عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام عن أبيه، عن آبائه ـ صلوات الله عليهم ـ قال: أتى ميثم التّمّار دار أمير المؤمنين عليه السلام فقيل له: إنّه نائم، فنادى بأعلى صوته: انتبه أيّها النّائم، فو الله لتخضبنّ لحيتك من رأسك، فانتبه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أدخلوا ميثماً، فقال له: أيّها النّائم ـ والله ـ لتخضبنّ لحيتك من رأسك، فقال: صدقت وأنت ـ والله ـ لتقطعنّ يداك ورجلاك ولسانك ولتقطعنّ النّخلة الّتي بالكناسة فتشقّ أربع قطع فتصلب أنت على ربعها وحجر بن عديّ على ربعها ومحمّد بن أكثم على ربعها وخالد بن مسعود على ربعها.

قال ميثم: فشككت في نفسي وقلت: إنّ عليّاً ليخبرنا بالغيب، فقلت له: أوكائن ذاك يا أمير المؤمنين؟ فقال: إي وربّ الكعبة، كذا عهده إلى النّبيّ .

إلى أن قال: فقال لي [أي عبيد الله بن زياد]: لتبرأنّ من عليّ ولتذكرنّ

مساوئه وتتولّى عثمان وتذكر محاسنه أو لأقطعنّ يديك ورجليك ولأصلّبنّك! فبكيت فقال لي: بكيت من القول دون الفعل! فقلت: والله ما بكيت من القول ولا من الفعل، ولكنّي بكيت من شكّ كان دخلني يوم خبّرني سيّدي ومولاي.(٣٣).

وقال في سفيان بن أبي ليلى الهمداني ـ وهو من حواري أصحاب الإمام الحسن عليه السلام كما نصّ عليه في موضع آخر(٣٤) ـ: روي عن عليّ بن الحسن الطّويل، عن عليّ بن النّعمان، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: جاء رجل من أصحاب الحسن عليه السلام يقال له سفيان بن أبي ليلى وهو على راحلة له، فدخل على الحسن عليه السلام وهو مُحْتَب في فناء داره، قال: فقال له: السّلام عليك يا مذلّ المؤمنين، فقال له الحسن عليه السلام: انزل ولا تعجل، فنزل فعقل راحلته في الدّار وأقبل يمشي حتّى انتهى إليه.

قال: فقال له الحسن عليه السلام: ما قلت؟! قال: قلت: السّلام عليك يا مذلّ المؤمنين، قال: وما علمك بذلك؟! قال: عمدت إلى أمر الأمّة فخلعته من عنقك وقلّدته هذه الطّاغية يحكم بغير ما أنزل الله.

قال: فقال له الحسن عليه السلام: سأخبرك لم فعلت ذلك، قال: سمعت أبي يقول: قال رسول الله : لن تذهب الأيّام واللّيالي حتّى يلي أمر الأمّة رجل واسع البُلْعُوم رَحْب الصّدر يأكل ولا يشبع وهو معاوية، فلذلك فعلت(٣٥).

وقال في الأحنف بن قيس: أنّ عليّاً عليه السلام كان يأذن لبني هاشم وكان يأذن لي معهم، قال: فلمّا كتب إليه معاوية: إن كنت تريد الصّلح فامح عنك اسم الخلافة، فاستشار بني هاشم، فقال له رجل منهم: انزح هذا الاسم نزحه الله، قالوا: فإنّ كفّار قريش لمّا كان بين رسول الله وبينهم ما كان، كتب: هذا ما قاضى عليه محمّد رسول الله أهل مكّة، كرهوا ذلك وقالوا: لو نعلم أنّك رسول الله ما منعناك أن تطوف بالبيت، قال: فكيف إذاً؟ قالوا: اكتب هذا: ما قاضى عليه محمّد بن عبدالله

وأهل مكّة، فرضي.

قال الأحنف: فقلت لذلك الرّجل كلمة فيها غلظة، وقلت لعليّ: أيّها الرّجل والله ما لك ما قال رسول الله إنّا ما حابيناك في بيعتنا ولو نعلم أحداً في الأرض اليوم أحقّ بهذا الأمر منك لبايعناه ولقاتلناك معه، أقسم بالله إن محوت عنك هذا الاسم الّذي دعوت النّاس إليه وبايعتهم عليه لا يرجع إليك أبداً(٣٦).

وروى في رميلة مسنداً عنه قال: وعكت وَعَكاً شديداً في زمان أمير المؤمنين عليه السلام فوجدت من نفسي خفّةً يوم الجمعة، فقلت: لا أصيب شيئاً أفضل من أن أفيض عليّ من الماء وأصلّي خلف أمير المؤمنين عليه السلام، ففعلت، ثمّ جئت المسجد فلمّا صعد أمير المؤمنين عليه السلام المنبر عاد عليّ ذلك الوعك، فلمّا انصرف أمير المؤمنين عليه السلام دخل القصر ودخلت معه فالتفت إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال: يا رميلة ما لي رأيتك وأنت منشبك بعضك في بعض!

فقصصت عليه القصّة الّتي كنت فيها والّذي حملني على الرّغبة في الصّلاة خلفه، فقال لي: يا رميلة ليس من مؤمن يمرض إلا مرضنا لمرضه ولا يحزن إلا حزنّا لحزنه ولا يدعو إلا أمّنّا له ولا يسكت إلا دعونا له. فقلت: يا أمير المؤمنين، جعلت فداك هذا لمن معك في المصر أرأيت من كان في أطراف الأرض؟ قال: يا رميلة ليس يغيب عنّا مؤمن في شرق الأرض ولا في غربها(٣٧).

وروى في قيس بن سعد بن عبادة مسنداً عن فضيل غلام محمّد بن راشد، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ معاوية كتب إلى الحسن بن عليّ ـ صلوات الله عليهما ـ أن اقدم أنت والحسين وأصحاب عليّ، فخرج معهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاريّ وقدموا الشّام، فأذن لهم معاوية وأعدّ لهم الخطباء، فقال: يا حسن قم فبايع فقام فبايع، ثمّ قال للحسين عليه السلام: قم فبايع، فقام فبايع، ثمّ قال: قم يا قيس فبايع فالتفت إلى الحسين عليه السلام ينظر ما يأمره، فقال: يا قيس إنّه إمامي، يعني الحسن عليه السلام (٣٨).

فالشكّ في قول أمير المؤمنين عليه السلام في إخباره الغيبي، وخطاب الإمام الحسن عليه السلام بأنّه مذلّ المؤمنين، و... كلّ هذه تعني عدم اعتقادهم بكون الإمام عالماً بالغيب.

ففي كتاب حقائق الإيمان المنسوب إلى الشهيد الثاني (٣٩): أمّا التصديق بكونهم معصومين مطهّرين عن الرجس . . . والتصديق بكونهم منصوصاً عليهم من الله تعالى ورسوله، وأنّهم حافظون للشرع، عالمون بما فيه صلاح أهل الشريعة من أمور معاشهم ومعادهم، وأنّ علمهم ليس عن رأي واجتهاد بل عن يقين تلقّوه عن من لا ينطق عن الهوى خلفاً عن سلف بأنفس قوية قدسية، أو بعضه لدني من لدن حكيم خبير، وأنّه لا يصحّ خلو العصر عن إمام منهم، وإلا لساخت الأرض بأهلها. وأنّ الدنيا تتمّ بتمامهم، ولا تصحّ الزيادة عليهم...

فهل يعتبر في تحقّق الإيمان أم يكفي اعتقاد إمامتهم ووجوب طاعتهم في الجملة؟ فيه الوجهان السابقان في النبوّة.

ويمكن ترجيح الأوّل بأنّ الذي دلّ على ثبوت إمامتهم دلّ على جميع ما ذكرناه خصوصاً العصمة، لثبوتها بالعقل والنقل.

وليس بعيداً الاكتفاء بالأخير، على ما يظهر من حال رواتهم ومعاصريهم من شيعتهم في أحاديثهم ، فإنّ كثيراً منهم ما كانوا يعتقدون عصمتهم لخفائها عليهم، بل كانوا يعتقدون أنّهم علماء أبرار، يعرف ذلك من تتبّع سيرهم وأحاديثهم وفي كتاب أبي عمرو الكشي جملة مطّلعة على ذلك، مع أنّ المعلوم من سيرتهم مع هؤلاء أنّهم كانوا حاكمين بإيمانهم بل عدالتهم(٤٠).

ففي هذا العهد انقسم المسلمون إلى صنفين: الشيعة والسنّي، فكلّ من قال بالنصّ على الإمام فهو شيعي وإلا فسنّي.

ولا تجد في هذا العهد تفرّقاً في صنف الشيعة أنفسهم، وهذا قضية كلّ فكرة

في بداية أمرها.

فمثلاً ما يتديّن به كلّ مسلم في بدو دعوة النبيّ هو الشهادة بالتوحيد(٤١) وليس فيها إظهار الفرائض ـ كالحجّ والجهاد والزكاة وغيرها ـ فضلاً عن الالتزام بها إلا أنّ في مرحلة النضج صار ترك الصلاة بمنزلة الكفر(٤٢)، أو من مات ولم يحجّ مات يهودياً أو نصرانياً(٤٣).

فالإمامة في هذا العهد أمر بسيط جدّاً فلم تكن منشأً للتفرّق والتحزّب، كما لا يخفى.

الدور الثاني

(عهد الصادقين ـ الإمام المهدي عليه السلام)

ويبتدئ هذا الدور ـ كما قلنا ـ من عهد الصادقين إلى ابتداء إمامة الإمام المهديّ ـ روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء ـ أي الغيبة الصغرى.

وهذه المرحلة هي مرحلة النضج وإعطاء الأكل على صعيد التفلسف والتعمّق والتمحيص.

قال الكشي في أبي اليسع عيسى بن السري: جعفر بن أحمد عن صفوان، عن أبي اليسع، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: حدّثني عن دعائم الإسلام الّتي بني عليها، إلى أن قال: قال رسول الله : من مات لا يعرف إمامه مات ميتةً جاهليّةً، وقال الله (عزّ وجلّ): ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾(٤٤)، وكان عليّ عليه السلام وقال الآخرون: لا بل معاوية، إلى أن قال: ثمّ كان أبو جعفر، وكانت الشّيعة قبله لا يعرفون ما يحتاجون إليه من حلال ولا حرام إلا ما تعلّموا من النّاس، حتّى كان أبو جعفر عليه السلام ففتح لهم وبيّن لهم وعلّمهم، فصاروا

يعلّمون النّاس بعد ما كانوا يتعلّمون منهم[٤٥].

ونقله العياشي هكذا: كانت الشيعة قبل أن يكون أبو جعفر وهم لا يعرفون مناسك حجهم ولا حلالهم ولا حرامهم حتّى كان أبو جعفر عليه السلام فحجّ لهم وبين مناسك حجهم وحلالهم وحرامهم، حتى استغنوا عن الناس، وصار الناس يتعلمون منهم[٤٦].

فقول الشيخ المفيد بأنّه اتّفقت الإمامية على أنّ إمام الدين لا يكون إلا معصوماً من الخلاف لله تعالى عالما بجميع علوم الدين كاملاً في الفضل بائناً من الكلّ بالفضل عليهم في الأعمال التي يستحقّ بها النعيم المقيم[٤٧]، لهذه المرحلة ومن بعده.

***

ثمّ إنّا سبرنا كتاب بصائر الدرجات ـ وهو من أهمّ مصادر الإمامية في بحث الإمامة، بل هو المصدر الوحيد لبعض روايات مباحث الإمامة ـ واستخرجنا جميع روايات التي ترتبط بمسألة علم الغيب من هذا الكتاب، وهذا يؤيّد ما قلنا من أنّ هذه المسألة قد طرحت منذ عهد الصادقين وأمّا قبلهما فالنصوص حول هذه المسألة أقلّ قليل جداً.

والمتحصّل[٤٨] من جميع ذلك الذي يرتبط بالمقام هو[٤٩]:

الأمر الأوّل:

إنّك تجد أنّ أكثر هذه الروايات منقولة عن الصادقين [٥٠]، وهذا لا يعني دسّ هذه الروايات من قبل الرواة الغالين في هذا العهد، بل هذا يعني كون عهد الصادقين مرحلة النضج في معارف الشيعة الإمامية.

ولا يرد عليه قول الوحيد البهبهاني حيث قال: الظاهر أنّ كثيراً من القدماء ـ سيّما القيمين منهم وابن الغضائري كانوا يعتقدون للأئمة منزلة خاصّة من

الرفعة والجلالة ومرتبة معيّنة من العصمة والكمال بحسب اجتهادهم ورأيهم وما كانوا يجوزون التعدي عنها وكانوا يعدون التعدي ارتفاعاً وغلواً حسب معتقدهم(٥١).

كما لا يرد عليه قول المحقّق المامقاني : إنّ أكثر من رُمي بالغلوّ بريء من الغلوّ في الحقيقة، وأنّ أكثر ما يُعدّ اليوم من ضروريّات المذهب في أوصاف الأئمّة كان القول به معدوداً في العهد السابق من الغلوّ(٥٢).

بدعوى(٥٣) أنّ ما هو الضروري اليوم من القول في الأئمة بأنّهم معصومون عالمون بالغيب هو مخالف لرأي القدماء، وهو ما أحدثه الغلاة(٥٤).

والدليل على ذلك:

أ. وجدان جذور هذه الروايات في روايات الدور الأوّل وهي مرحلة غرس الاصطلاح وطرح الجذور الأساسية.

فلذلك تجد في هذا الباب روايات عن:

١. رسول الله (٥٥)

٢. أمير المؤمنين عليه السلام (٥٦)

٣. الإمام السجّاد عليه السلام (٥٧).

ب. تأييد هذه الروايات بما ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام (٥٨) ومن بعده من الأئمة (٥٩).

ج. تشابه وضع الروايات المعارفية والروايات الفقهية في المقام، فإنّ أكثر الروايات الفقهية لم ترو إلا في عهد الصادقين .

وهذا خصوصية عصر النضج في تاريخ العلوم.

نعم، لو لم يكن عهد الصادقين عصر النضج، أو كان أسلوب الروايات المعارفية في بنية الألفاظ أو العبارات لم يشبه أسلوب الكلام في هذا العهد(٦٠)، يمكن أن يوقعنا ذلك في الشكّ والترديد، إلا أنّ الأمر في المقام ليس كذلك.

الأمر الثاني:

إنّ هذه الروايات مروية في أحد الكتب المشهورة المؤلّفة من أحد محدّثي مدرسة قم وأكابرها[٦١]، وتأليف هذا الكتاب في هذه المدرسة كما أنّ نقله وإجازته أيضاً من قبل علماء هذه المدرسة كابن الوليد المتشدّد في أمر الرواية عن الغلاة.

قال الشيخ في الفهرست في ترجمة الصفّار: له كتب مثل كتب الحسين بن سعيد، وزيادة كتاب بصائر الدرجات. أخبرنا بجميع كتبه ورواياته ابن أبي جيد، عن محمّد بن الحسن ابن الوليد، عن محمّد بن الحسن الصفّار.

وأخبرنا جماعة، عن محمّد بن علي بن الحسين، عن محمّد بن الحسن بن الوليد عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن رجاله إلا كتاب بصائر الدرجات فإنّه لم يروه عنه محمّد بن الحسن بن الوليد.

وأخبرنا الحسين بن عبيد الله، عن أحمد بن محمّد بن يحيى، عن أبيه، عن محمّد بن الحسن الصفّار[٦٢].

فيظهر من الطريق الأوّل أنّ ابن الوليد هو أحد الطرق إلى كتاب البصاير وإن كان استثنى هذا الكتاب في إجازته للصدوق [٦٣].

وقال النجاشي في ترجمة الصّفار: كان وجهاً في أصحابنا القميين، ثقة عظيم القدر راجحاً قليل السقط في الرواية.

أخبرنا بكتبه كلّها ما خلا بصائر الدرجات أبو الحسين عليّ بن أحمد بن محمّد بن طاهر الأشعري القمي قال: حدّثنا محمّد بن الحسن بن الوليد عنه بها.

وأخبرنا أبو عبد الله بن شاذان قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن يحيى عن أبيه عنه بجميع كتبه وببصائر الدرجات[٦٤].

ومنه يظهر أنّ محمّد بن يحيى العطّار القمي الذي قال النجاشي فيه: شيخ أصحابنا في زمانه، ثقة، عين[٦٥] هو الطريق الآخر لكتاب البصائر.

فيظهر من جميع ذلك أنّ كتاب البصائر لم ينقل إلا بواسطة أكابر مدرسة قم[٦٦].

فكثير ما زعم هذا المعاصر أنّها من مختلقات الغلاة لم تصل إلينا إلا بواسطة محدّثي مدرسة قم!

كما أنّ كثيراً من هذه المضامين وردت في كتاب الكافي الذي كان أكثر مصادرها من مصنّفات أكابر محدّثي مدرسة قم وثقاتها وبواسطتهم، مثل: عليّ بن إبراهيم بن هاشم القمي، ومحمّد بن يحيى العطّار القمي، وأحمد بن إدريس الأشعري القمي، والحسين بن محمّد الأشعري القمي، وغيرهم.

كما أنّ كثيراً من هذه المضامين وردت في الكتب الصدوق .

فهذه زيارة الجامعة التي ورد في كتاب من لا يحضره الفقيه المدّعى صحّة جميع ما ورد فيه بل حجّة فيما بين الصدوق وبين الله (عزّ وجلّ) ، فقد ورد فيها: أشهد أنّكم الأئمّة الرّاشدون المهديّون المعصومون المكرّمون المقرّبون المتّقون الصّادقون المصطفون المطيعون لله القوّامون بأمره العاملون بإرادته الفائزون بكرامته اصطفاكم بعلمه وارتضاكم لغيبه واختاركم لسرّه واجتباكم بقدرته وأعزّكم بهداه وخصّكم ببرهانه وانتجبكم بنوره وأيّدكم بروحه ورضيكم خلفاء في أرضه وحججاً على بريّته وأنصاراً لدينه وحفظةً لسرّه وخزنةً لعلمه ومستودعاً لحكمته وتراجمةً لوحيه وأركاناً لتوحيده وشهداء على خلقه وأعلاماً لعباده ومناراً في بلاده وأدلّاء على صراطه عصمكم الله من الزلل وآمنكم من الفتن وطهّركم من الدّنس ... الحقّ معكم وفيكم ومنكم وإليكم وأنتم أهله ومعدنه وميراث النّبوّة عندكم وإياب الخلق إليكم وحسابهم

عليكم وفصل الخطاب عندكم وآيات الله لديكم وعزائمه فيكم ونوره وبرهانه عندكم وأمره إليكم... وأنّ أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة طابت وطهرت بعضها من بعض خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين حتّى منّ علينا بكم فجعلكم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وجعل صلواتنا عليكم وما خصّنا به من ولايتكم طيباً لخلقنا وطهارةً لأنفسنا وتزكيةً لنا وكفّارةً لذنوبنا(٦٧).

بل قال في اعتقاداته: اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمّة والملائكة ـ صلوات الله عليهم ـ أنّهم معصومون مطهّرون من كلّ دنس، وأنّهم لا يذنبون ذنباً، لا صغيراً ولا كبيراً، و﴿**لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ**﴾. ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم(٦٨).

الأمر الثالث:

قد نقل كثير من روايات البصائر ـ التي زعمها هذا المعاصر أنّها من مجعولات الغلاة ـ عن ثقات الرواة وفقهائهم، مثل:

١. أبان بن تغلب(٦٩).
٢. أحمد بن محمّد بن أبي نصر البزنطي(٧٠).
٣. إسحاق بن عمّار(٧١).
٤. بريد بن معاوية العجلي(٧٢).
٥. بكير بن أعين(٧٣).
٦. ثابت بن دينار أبو حمزة الثمالي(٧٤).
٧. الحارث بن المغيرة النضري(٧٥).
٨. زرارة(٧٦).

٩. سماعة[٧٧].

١٠. صفوان[٧٨].

١١. عبد الله بن أبي يعفور[٧٩].

١٢. عبد الله بن بكير[٨٠].

١٣. عبد الله بن جندب[٨١].

١٤. عبد الله بن سنان[٨٢].

١٥. عبد الله بن مسكان[٨٣]

١٦. عبد الرحمن بن أبي نجران[٨٤].

١٧. عليّ بن جعفر[٨٥].

١٨. عليّ بن سويد[٨٦].

١٩. عمّار الساباطي[٨٧].

٢٠. الفضيل بن يسار[٨٨].

٢١. محمّد بن مسلم[٨٩]، وغيرهم.

ثمّ إنّه نقول:

الأوّل:

كلّ فعل عظيم وصفة عالية ليس من الصفات الإلهية فقط، بل قد تسند تلك الأوصاف والأفعال إلى المكرمين من المخلوقات.

قال السيّد الخوئي: إنّ قوله: «الله أكبر من أن يوصف»، لا يدلّ على اختصاص الأكبرية من ذلك به تعالى ونفيها عن غيره، فلعلّ هناك موجوداً كالنبيّ الأكرم أو ملك مُقرّب هو أيضاً أكبر من أن يوصف، كما أن قوله: الله أكبر من كلّ شيء، لا يدلّ على أنّه تعالى غير محدود بحدّ وغير قابل للوصف، بل غايته أنّ كلّ

موجود في الخارج فالله سبحانه أكبر منه، وأمّا أنّه تعالى أكبر من أن يوصف وأجل من أن يحدد بحد فلا دلالة للكلام عليه(٩٠).

الثاني:

قد وصف القرآن الكريم بعض عباد الله الأصفياء بصفات فوق صفات البشرية:

﴿ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحيهِ إِلَيْكَ﴾(٩١).

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحيها إِلَيْكَ﴾ (٩٢).

﴿فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾ (٩٣).

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً﴾ (٩٤).

﴿وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْري مَا الْكِتابُ وَلاَ الإيمانُ وَلكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا وَإِنَّكَ لَتَهْدي إلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ﴾(٩٥).

﴿وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزيزٌ﴾ (٩٦).

﴿عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً إِلا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ﴾ (٩٧).

فالقول الصواب أنّ الله (عزّ وجلّ) أعطى بعض عباده الأصفياء من الصفات ما لم يعط سائر الناس، فهم بصفاتهم هذه ليسوا أرباباً دون الله بل هم عباده و﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (٩٨).

فإلى هذا أشار معروف بن خربوذ حيث قال ـ معلّقاً على قول أبي جعفر عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا وجه الله أنا جنب الله وأنا الأوّل وأنا الآخر وأنا الظّاهر وأنا الباطن وأنا وارث الأرض وأنا سبيل الله وبه عزمت عليه ـ: ولها تفسير غير ما يذهب فيها أهل الغلوّ(٩٩).

نعم، الضابطة في صحّة إسناد النعوت والأوصاف لهم على كون إمكان كون تلك الصفة صفة المخلوقين أي عالم الإمكان ما سوى الله وإن لم يكتنه العقل المحدود للبشر كنه حقيقة تلك الصفة بنحو التفصيل، لكنّه يدرك إجمالاً أنّ الصفة صفة ممكن حادث لا صفة مختصّة بالذات الأزلية(١٠٠).

الثالث:

إنّ الأمر بالنسبة إلى إنكار الأئمة على الغلاة والتشديد عليهم قسمان:

١. إنّ الغلاة أسندوا أفعالاً عظيمة وصفات عالية إلى الأئمة المعصومين ، وهم قد أصابوا من هذه الجهة إلا أنّهم يريدون أن يثبتوا بذلك أمراً آخراً وهو أنّ الإمام الذي كان له هذه الصفات والكرامات يستحقّ أن يكون ربّاً وإلهاً ـ تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ـ.

والأئمة قد أنكروا عليهم هذه الملازمة، ولذلك ترى أنّ في ما روي عنهم في الردّ على الغلاة ورد أنّهم ليسوا بربّ، بل هم عباد مخلوقون. كما قد ورد في بعضها ـ على ما سيأتي ـ تنظير مقالة الغلاة بمقالة النصارى وبراءة الأئمة عنهم كبراءة عيسى عليه السلام من النصارى، مع أنّ الوارد في التنزيل: ﴿**أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ**﴾(١٠١)، فالقول بكون عيسى يخلق ليس بمستنكر ما لم ينجرّ إلى الملازمة المزعومة.

وإليك أنموذج من ذلك:

أ. روى الكشي في ترجمة أبي الخطاب عن محمّد بن مسعود قال: حدّثني عبد الله بن محمّد بن خالد، عن عليّ بن حسان، عن بعض أصحابنا، رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكر عنده جعفر بن واقد ونفر من أصحاب أبي الخطاب، فقيل: إنّه صار إلى بيروذ، وقال فيهم: ﴿**وَهُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلهٌ**﴾(١٠٢)، قال: هو الإمام، فقال أبو عبد الله عليه السلام: لا والله لا يأويني وإيّاه سقف بيت أبداً، هم شرّ من

اليهود والنّصارى والمجوس والّذين أشركوا، والله ما صغّر عظمة الله تصغيرهم شيء قطّ، إنّ عزيراً جال في صدره ما قالت فيه اليهود فمحا الله اسمه من النّبوّة، والله لو أنّ عيسى أقرّ بما قالت النّصارى لأورثه الله صمماً إلى يوم القيامة، والله لو أقررت بما يقول فيّ أهل الكوفة لأخذتني الأرض، وما أنا إلا عبد مملوك لا أقدر على شيء ضرّ ولا نفع(١٠٣).

ب. روى الصدوق عن الرضا عليه السلام أنّه يقول في دعائه: اللّهم من زعم أنّنا أرباب فنحن إليك منه براء، ومن زعم أنّ إلينا الخلق وعلينا الرزق فنحن إليك منه براء كبراءة عيسى عليه السلام من النصارى. اللّهم إنّا لم ندعهم إلى ما يزعمون، فلا تؤاخذنا بما يقولون واغفر لنا ما يزعمون(١٠٤).

ج. روى الشيخ في أماليه بسند صحيح ـ على الأصحّ ـ عن الفضيل بن يسار، قال: قال الصادق عليه السلام: احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدونهم، فإنّ الغلاة شرّ خلق الله، يصغّرون عظمة الله، ويدعون الربوبية لعباد الله، والله إنّ الغلاة شرّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا(١٠٥).

د. وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: إنّ هؤلاء الضلال الكفرة ما أتوا إلا من جهلهم بمقادير أنفسهم، حتّى اشتدّ إعجابهم بها، وكثر تعظيمهم لما يكون منها، فاستبدوا بآرائهم الفاسدة، واقتصروا على عقولهم المسلوك بها غير السبيل الواجب، حتّى استصغروا قدر الله، واحتقروا أمره، وتهاونوا بعظيم شأنه(١٠٦).

هـ. روى الصدوق مسنداً عن جابر بن عبد الله قال: لما قدم عليّ عليه السلام على رسول الله بفتح خيبر قال له رسول الله : لولا أن تقول فيك طوائف من أمّتي ما قالت النصارى للمسيح عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم قولاً لا تمرّ بملإ إلا أخذوا التراب من تحت رجليك ومن فضل طهورك يستشفوا به(١٠٧).

٢. إنّ الغلاة رأوا ما ورد حولهم من أنّهم محدّثون، أو رأوا ما ورد في مشابهتهم بالأنبياء، فحكموا بكونهم أنبياء، فالأئمة أنكروا عليهم في هذا الفهم الخاطئ لا أنّهم نفوا كونهم محدّثين أو شبههم بالأنبياء.

فأمثلة ذلك كثيرة، منها:

أ. عن الحكم بن عتيبة قال: دخلت على عليّ بن الحسين عليه السلام يوماً فقال: يا حكم هل تدري الآية التي كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام يعرف قاتله بها ويعرف بها الأمور العظام التي كان يحدث بها الناس قال الحكم: فقلت في نفسي: قد وقعت على علم من علم عليّ بن الحسين أعلم بذلك تلك الأمور العظام. قال: فقلت: لا والله لا أعلم. قال: ثمّ قلت: الآية تخبرني بها يا ابن رسول الله قال: هو والله قول الله ـ عزّ ذكره ـ: ﴿**وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ ولا نَبِيٍّ**﴾ ولا محدث وكان علي بن أبي طالب عليه السلام محدثاً. فقال له رجل يقال له عبد الله بن زيد كان أخا عليّ لأمّه: سبحان الله محدثاً؟! كأنّه ينكر ذلك فأقبل علينا أبو جعفر عليه السلام فقال: أما والله إنّ ابن أمّك بعد قد كان يعرف ذلك، قال: فلما قال ذلك سكت الرجل، فقال: هي التي هلك فيها أبو الخطاب فلم يدر ما تأويل المحدث والنبيّ(١٠٨).

ب. عن حمران بن أعين قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ عليّاً عليه السلام كان محدثاً فخرجت إلى أصحابي فقلت: جئتكم بعجيبة، فقالوا: وما هي؟ فقلت: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كان عليّ عليه السلام محدثاً، فقالوا: ما صنعت شيئاً إلا سألته من كان يحدثه فرجعت إليه فقلت: إنّي حدثت أصحابي بما حدثتني، فقالوا: ما صنعت شيئا إلا سألته من كان يحدثه فقال لي: يحدثه ملك قلت: تقول: إنّه نبيّ، قال: فحرّك يده هكذا أو كصاحب سليمان أو كصاحب موسى أو كذي القرنين أ وما بلغكم أنّه قال وفيكم مثله(١٠٩).

ج. روى الكشي مسنداً عن أبي العبّاس البقباق، قال: تذاكر ابن أبي يعفور

ومعلّى بن خنيس، فقال ابن أبي يعفور: الأوصياء علماء أبرار أتقياء، وقال ابن خنيس: الأوصياء أنبياء، قال: فدخلا على أبي عبد الله عليه السلام قال: فلمّا استقرّ مجلسهما قال: فبدأهما أبو عبد الله عليه السلام فقال: يا عبد الله ابرأ ممّن قال إنّا أنبياء[١١٠].

د. عن حمران بن أعين قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أنبياء أنتم؟ قال: لا. قلت: فقد حدّثني من لا أتّهم أنك قلت: إنّكم أنبياء قال: من هو؟ أبو الخطاب؟ قال: قلت: نعم، قال: كنت إذا أهجر قال: قلت فبما تحكمون؟ قال: نحكم بحكم آل داود[١١١].

إذا عرف ذلك فاعلم أنّ المقصّرين ـ بتعبير الشيخ المفيد ـ لم يلتفتوا إلى وجه الإنكار بل تخيّلوا أنّ الأئمة أنكروا عليهم اللازم والملزوم معاً.

أو رأوا الإنكار على بعض الغلاة في إباحتهم المحرمات وترك الواجبات[١١٢] أو حبّهم الرئاسة[١١٣]، فزعموا أنّ الإنكار عليهم مطلقاً.

كما أنّ الردّ في التشابه بهم في بعض المباحث الفرعية الفقهية ـ كمسألة وقت صلاة المغرب[١١٤] ـ ليس معناه عدم إصابتهم في هذه المباحث، بل لتحذير جماعة الشيعة عنهم حتّى في المباحث الفرعية لئلا يطمع الغلاة فيهم في المسائل الاعتقادية.

ولأجله نرى رمي بعض أصحابنا الإمامية بالغلو مع أنّهم من أعاظم الأصحاب وأجلائهم وليس ذلك إلا لأجل معاشرتهم مع الغلاة والمتّهيمن بالغلو.

هذا المفضّل بن عمر الذي هو من الوكلاء المحمودين للأئمة ـ على ما ذكره الشيخ[١١٥] ـ ولكن قال فيه النجاشي: فاسد المذهب، مضطرب الرواية، لا يعبأ به. وقيل: إنّه كان خطّابياً[١١٦]، وهذا لمعاشرته مع المتّهمين.

قال نصر بن الصّبّاح رفعه، عن محمّد بن سنان: أنّ عدّةً من أهل الكوفة كتبوا إلى الصّادق عليه السلام فقالوا: إنّ المفضّل يجالس الشّطار وأصحاب الحمّام وقوماً يشربون الشّراب، فينبغي أن تكتب إليه وتأمره ألا يجالسهم(١١٧).

جهات البحث في هذا العهد:

فالنزاع والاختلاف في الإمامة في هذا العهد حول المحورين:

١. الاختلاف في مصداق الإمام المنصوص:

الإبهام والترديد في مصداق الإمام المنصوص قد أوجب الانشعاب والتحزّب في هذا العهد.

وقد نشاهد أنّ بعض أعاظم أصحابنا وقعوا في هذا الترديد والتحيّر.

فعن عليّ بن يقطين قال: لمّا كانت وفاة أبي عبد الله عليه السلام قال النّاس بعبد الله بن جعفر، واختلفوا، فقائل قال به، وقائل قال بأبي الحسن عليه السلام، فدعا زرارة ابنه عبيداً فقال: يا بنيّ، النّاس مختلفون في هذا الأمر، فمن قال بعبد الله فإنّما ذهب إلى الخبر الّذي جاء: إنّ الإمامة في الكبير من ولد الإمام، فشدّ راحلتك وامض إلى المدينة حتّى تأتيني بصحّة الأمر.

فشدّ راحلته ومضى إلى المدينة، واعتلّ زرارة فلمّا حضرته الوفاة سأل عن عبيد، فقيل: إنّه لم يقدم، فدعا بالمصحف فقال: اللّهمّ إنّي مصدّق بما جاء نبيّك محمّد فيما أنزلته عليه وبيّنته لنا على لسانه، وإنّي مصدّق بما أنزلته عليه في هذا الجامع، وإنّ عقيدتي وديني الّذي يأتيني به عبيد ابني وما بيّنته في كتابك، فإن أمتّني قبل هذا فهذه شهادتي على نفسي وإقراري بما يأتي به عبيد ابني وأنت الشّهيد عليّ بذلك! فمات زرارة، وقدم عبيد، فقصدناه لنسلّم عليه فسألوه عن الأمر الّذي قصده فأخبرهم أنّ أبا الحسن عليه السلام صاحبهم(١١٨).

وعن هشام بن سالم قال: كنّا بالمدينة بعد وفاة أبي عبد الله عليه السلام أنا ومؤمن الطّاق أبو جعفر قال: والنّاس مجتمعون على أنّ عبد الله صاحب الأمر بعد أبيه، فدخلنا عليه أنا وصاحب الطّاق والنّاس مجتمعون عند عبد الله. وذلك أنّهم رووا عن أبي عبد الله عليه السلام: أنّ الأمر في الكبير ما لم يكن به عاهة.

فدخلنا نسأله عمّا كنّا نسأل عنه أباه، فسألناه عن الزّكاة في كم تجب؟ قال: في مائتين خمسة، قلنا: ففي مائة؟ قال: درهمان ونصف درهم، قال: قلنا له: والله ما تقول المرجئة هذا! فرفع يديه إلى السّماء، فقال: لا والله ما أدري ما تقول المرجئة.

قال: فخرجنا من عنده ضلالاً لا ندري إلى أين نتوجّه أنا وأبو جعفر الأحول، فقعدنا في بعض أزقّة المدينة باكين حيارى لا ندري إلى من نقصد وإلى من نتوجّه! نقول إلى المرجئة؟! إلى القدريّة؟! إلى الزّيديّة؟! إلى المعتزلة؟! إلى الخوارج؟!

قال: فنحن كذلك إذ رأيت رجلاً شيخاً لا أعرفه يومي إلى بيده، فخفت أن يكون عيناً من عيون أبي جعفر(١١٩)، وذاك أنّه كان له بالمدينة جواسيس ينظرون على من اتّفق بشيعة جعفر فيضربون عنقه، فخفت أن يكون منهم، فقلت لأبي جعفر: تنحّ فإنّي خائف على نفسي وعليك وإنّما يريدني ليس يريدك، فتنحّ عنّي لا تهلك وتعين على نفسك فتنحّى غير بعيد وتبعت الشّيخ وذاك أنّي ظننت أنّي لا أقدر على التّخلّص منه فما زلت أتبعه حتّى ورد بي على باب أبي الحسن موسى عليه السلام ثمّ خلاني ومضى فإذا خادم بالباب، فقال لي: ادخل رحمك الله.

قال: فدخلت فإذا أبو الحسن عليه السلام فقال لي ابتداءً: لا إلى المرجئة ولا إلى القدريّة ولا إلى الزّيديّة ولا إلى المعتزلة ولا إلى الخوارج إلى إليّ إليّ. قال: فقلت له: جعلت فداك مضى أبوك؟ قال: نعم، قال: قلت: جعلت فداك، مضى في موت؟ قال: نعم. قلت: جعلت فداك فمن لنا بعده؟ فقال: إن شاء الله يهدك هداك. قلت:

جعلت فداك إنّ عبد الله يزعم أنّه من بعد أبيه، فقال: يريد عبد الله أن لا يعبد الله. قال: قلت له: جعلت فداك فمن لنا من بعده؟ فقال: إن شاء الله أن يهديك هداك أيضاً. قلت: جعلت فداك أنت هو؟ قال: ما أقول ذلك. قلت في نفسي: لم أصب طريق المسألة، قال: قلت: جعلت فداك عليك إمام؟ قال: لا، فدخلني شيء لا يعلمه إلا الله إعظاماً له وهيبةً أكثر ما كان يحلّ بي من أبيه إذا دخلت عليه. قلت: جعلت فداك أسألك عمّا كان يسأل أبوك؟ قال: سل تخبر ولا تذع، فإن أذعت فهو الذّبح. قال: فسألته فإذا هو بحر.

قال: قلت: جعلت فداك، شيعتك وشيعة أبيك ضلال فألقي إليهم وأدعوهم إليك فقد أخذت عليّ بالكتمان؟ قال: من آنست منهم رشداً فألق إليهم وخذ عليهم بالكتمان فإن أذاعوا فهو الذّبح، وأشار بيده إلى حلقه.

قال: فخرجت من عنده فلقيت أبا جعفر، فقال لي: ما وراك؟ قال: قلت: الهدى، قال: فحدّثته بالقصّة، قال: ثمّ لقيت المفضّل بن عمر وأبا بصير، قال: فدخلوا عليه فسمعوا كلامه وسألوه، قال: ثمّ قطعوا عليه عليه السلام.

ثمّ قال: ثمّ لقيت النّاس أفواجاً، قال: فكان كلّ من دخل عليه قطع عليه إلا طائفة مثل عمّار وأصحابه، فبقي عبد الله لا يدخل عليه أحد إلا قليل من النّاس. قال: فلمّا رأى ذلك وسأل عن حال النّاس، قال: فأخبر أنّ هشام بن سالم صدّ عنه النّاس، قال: فقال هشام: فأقعد لي بالمدينة غير واحد ليضربوني(١٢٠).

وهكذا الحال في الشكّ والترديد بعد الإمام أبي الحسن الكاظم عليه السلام، فلأجله نرى أنّ كثيراً من ثقات أصحاب أبي الحسن الكاظم عليه السلام مالوا إلى القول بالوقف وفيهم من أصحاب الإجماع مثل:

١. أحمد بن محمّد بن أبي نصر؛

٢. جميل بن درّاج؛

٣. حمّاد بن عيسى.

٤. صفوان بن يحيى.

٥. عثمان بن عيسى.

٦. عبد الله بن المغيرة.

فروى الشيخ مسنداً عن محمّد بن أبي عمير، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ـ وهو من آل مهران وكانوا يقولون بالوقف، وكان على رأيهم ـ فكاتب أبا الحسن الرضا عليه السلام وتعنت في المسائل فقال : كتبت إليه كتاباً وأضمرت في نفسي أنّي متى دخلت عليه أسأله عن ثلاث مسائل من القرآن وهي قوله تعالى : ﴿**أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ**﴾ (١٢١)، وقوله: ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ**﴾(١٢٢)، وقوله:﴿**إِنَّكَ لاتَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ**﴾(١٢٣).

قال أحمد : فأجابني عن كتابي وكتب في آخره الآيات التي أضمرتها في نفسي أن أسأله عنها ولم أذكرها في كتابي إليه، فلمّا وصل الجواب أنسيت ما كنت أضمرته، فقلت : أيّ شي هذا من جوابي ؟ ثمّ ذكرت أنّه ما أضمرته.

وكذلك الحسن بن عليّ الوشاء وكان يقول بالوقف فرجع وكان سببه أنّه قال : خرجت إلى خراسان في تجارة لي، فلمّا وردته بعث إلى أبو الحسن الرضا عليه السلام يطلب منّي حبرة ـ وكانت بين ثيابي قد خفي عليّ أمرها ـ فقلت : ما معي منها شيء، فردّ الرسول وذكر علامتها وأنّها في سفط كذا، فطلبتها فكان كما قال، فبعثت بها إليه. ثمّ كتبت مسائل أسأله عنها، فلمّا وردت بابه خرج إلى جواب تلك المسائل التي أردت أن أسأله عنها من غير أن أظهرتها، فرجع عن القول بالوقف إلى القطع على إمامته(١٢٤).

وعن خالد الجوّاز، قال: لمّا اختلف النّاس في أمر أبي الحسن عليه السلام، قلت لخالد: أما ترى ما قد وقعنا فيه من اختلاف النّاس؟! فقال لي خالد: قال لي أبو الحسن عليه السلام: عهدي إلى ابني عليّ أكبر ولدي وخيرهم وأفضلهم(١٢٥).

ولم يرتفع الشك والترديد إلا بعد التكرار والتأكيد مرّة بعد مرّة ومرّات بعد مرّات، وهذا دليل على قوّة الشبهة والترديد.

فعن الفيض بن المختار قال: قلت لأبي عبد الله: جعلت فداك، ما تقول في الأرض أتقبّلها من السّلطان ثمّ أؤاجرها آخرين على أنّ ما أخرج الله منها من شيء كان من ذلك النّصف أو الثّلث أو أقلّ من ذلك أو أكثر؟ قال: لا بأس به.

فقال له إسماعيل ابنه: يا أبه لم تحفظ! قال: فقال: يا بنيّ أوليس كذلك أعامل أكرتي! إنّ كثيراً ما أقول لك الزمني فلا تفعل، فقام إسماعيل فخرج، فقلت: جعلت فداك وما على إسماعيل ألا يلزمك إذا كنت أفضيت إليه الأشياء من بعدك كما أفضيت إليك بعد أبيك، قال: فقال: يا فيض، إنّ إسماعيل ليس كأنا من أبي. قلت: جعلت فداك فقد كنّا لا نشكّ أنّ الرّحال ستحطّ إليه من بعدك، وقد قلت فيه ما قلت، فإن كان ما نخاف وأسأل الله العافية فإلى من؟ قال: فأمسك عنّي، فقبّلت ركبته وقلت: ارحم سيّدي فإنّما هي النّار، وإنّي ـ والله ـ لو طمعت أنّي أموت قبلك ما باليت ولكنّي أخاف البقاء بعدك، فقال لي: مكانك! ثمّ قام إلى ستر في البيت فرفعه ودخل، ثمّ مكث قليلاً ثمّ صاح: يا فيض ادخل! فدخلت فإذا هو في المسجد قد صلّى فيه، وانحرف عن القبلة فجلست بين يديه ودخل إليه أبو الحسن عليه السلام وهو يومئذ خماسيّ وفي يده درّة فأقعده على فخذه، فقال له: بأبي أنت وأمّي ما هذه المِخْفَقة بيدك؟ قال: مررت بعليّ أخي وهي في يده يضرب بها بهيمةً فانتزعتها من يده، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا فيض إنّ رسول الله أفضيت إليه صحف إبراهيم وموسى فائتمن عليها رسول الله عليّاً عليه السلام واتّمن عليها عليّ الحسن عليه السلام واتّمن عليها الحسن الحسين عليه السلام واتّمن عليها الحسين عليّ بن الحسين عليه السلام واتّمن عليها عليّ بن الحسين محمّد بن عليّ واتّمنني عليها أبي، وكانت عندي ولقد اتّمنت عليها ابني هذا على حداثته وهي عنده، فعرفت ما أراد.

فقلت له: جعلت فداك زدني! قال: يا فيض إنّ أبي كان إذا أراد ألا تردّ له

دعوة أقعدني على يمينه فدعا وأمّنت فلا تردّ له دعوة، وكذلك أصنع بابني هذا، ولقد ذكرناك أمس بالموقف فذكرناك بخير، فقلت له: يا سيّدي زدني! قال: يا فيض إنّ أبي كان إذا سافر وأنا معه فنعس، وهو على راحلته أدنيت راحلتي من راحلته فوسّدته زراعي الميل والميلين حتّى يقضي وطره من النّوم، وكذلك يصنع بي ابني هذا. قال: قلت: جعلت فداك زدني! قال إنّي لأجد بابني هذا ما كان يجد يعقوب بيوسف. قلت: يا سيّدي زدني، قال: هو صاحبك الّذي سألت عنه، فأقرّ له بحقّه! فقمت حتّى قبّلت رأسه ودعوت الله له.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: أما إنّه لم يؤذن لي في أمرك منك، قلت: جعلت فداك أخبر به أحداً؟ قال: نعم، أهلك وولدك ورفقاءك، وكان معي أهلي وولدي ويونس بن ظبيان من رفقائي، فلمّا أخبرتهم حمدوا الله على ذلك كثيراً، وقال يونس: لا والله حتّى أسمع ذلك منه، وكانت فيه عجلة، فخرج واتّبعته فلمّا انتهيت إلى الباب سمعت أبا عبد الله عليه السلام قد سبقني وقال: الأمر كما قال لك الفيض، قال: سمعت وأطعت(١٢٦).

فلا يعقل التكرار والتأكيد بهذه المثابة إلا إذا كانت الشبهة والحيرة في الغاية.

كما أنّ هذا الترديد والإبهام في هذا العهد قد أوجب مسألة عرض الدين على الإمام عليه السلام.

فروى الكشي مسنداً عن عمرو بن حريث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخلت عليه وهو في منزل أخيه عبد الله بن محمّد، فقلت له: جعلت فداك ما حوّلك إلى هذا المنزل؟ قال: طلب النّزهة، قال: قلت: جعلت فداك ألا أقصّ عليك ديني الّذي أدين به؟ قال: بلى يا عمرو، قلت: إنّي أدين الله بشهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ السّاعة آتية لا ريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور، وإقام الصّلاة وإيتاء الزّكاة وصوم شهر رمضان وحجّ البيت من استطاع إليه

سبيلاً، والولاية لعليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين بعد رسول الله صلّى الله عليهما، والولاية للحسن والحسين والولاية لعليّ بن الحسين والولاية لمحمّد بن عليّ ولك من بعده، وأنتم أئمّتي عليه أحيا وعليه أموت وأدين الله به.

قال: يا عمرو، هذا ـ والله ـ ديني ودين آبائي الّذي ندين الله به في السّرّ والعلانية، فاتّق الله وكفّ لسانك إلا من خير، ولا تقل إنّي هديت نفسي بل هداك الله، فاشكر ما أنعم الله عليك، ولا تكن ممّن إذا أقبل طعن في عينيه وإذا أدبر طعن في قفاه، ولا تحمل النّاس على كاهلك فإنّه يوشك إن حملت النّاس على كاهلك أن يصدّعوا شعب كاهلك(١٢٧).

٢. الاختلاف في صفات الإمام المنصوص:

والاختلاف من هذه الجهة يوجب الغلو من ناحية والتقصير من ناحية أُخرى.

فعلى الإمام عليه السلام أوّلاً بيان صفات الإمام المنصوص، وثانياً تبيين هذه الصفات.

ونحن نرى أنّ الاختلاف من هذه الجهة استمرّ إلى عصر الغيبة، فقال الشيخ الصدوق ـ وهو ممثّل مدرسة قم ـ نقلاً عن شيخه ابن الوليد ـ وهو أيضاً من مشايخ هذه المدرسة ـ: أوّل درجة في الغلو نفي السهو عن النبيّ (١٢٨).

كما أنّ الشيخ المفيد ـ وهو ممثّل مدرسة بغداد ـ يقول: فأمّا نصّ أبي جعفر بالغلو على من نسب مشايخ القميين وعلماءهم إلى التقصير فليس نسبة هؤلاء القوم إلى التقصير علامة على غلو الناس، إذ في جملة المشار إليهم بالشيخوخة والعلم من كان مقصّراً وإنّما يجب الحكم بالغلو على من نسب المحققين إلى التقصير سواء أكانوا من أهل قم أم غيرها من البلاد وسائر الناس.

وقد سمعنا حكاية ظاهرة عن أبي جعفر محمّد بن الحسن بن الوليد لم نجد لها دافعاً في التقصير وهي ما حكي عنه أنّه قال: أوّل درجة في الغلو نفي السهو عن النبيّ والإمام عليهما السلام، فإن صحّت هذه الحكاية عنه فهو مقصّر مع أنّه من علماء القميين ومشيختهم.

وقد وجدنا جماعة وردوا إلينا من قم يقصّرون تقصيراً ظاهراً في الدين وينزلون الأئمة عن مراتبهم ويزعمون أنّهم كانوا لا يعرفون كثيرا من الأحكام الدينية حتّى ينكت في قلوبهم ورأينا من يقول: إنّهم كانوا يلتجئون في حكم الشريعة إلى الرأي والظنون ويدعون مع ذلك أنّهم من العلماء وهذا هو التقصير الذي لا شبهة فيه(١٢٩). إلى هنا تمّ ما أردنا البحث حوله في الدور الثاني.

ومنه يعلم الإجابة عمّا ذكره هذا المعاصر. ولتكميل البحث نذكر الدور الثالث فنقول:

الدور الثالث

(عصر الغيبة الصغرى)

الاختلاف في هذا العهد ـ الذي يبتدئ من الغيبة الصغرى إلى الغيبة الكبرى ـ أيضاً حول المحورين:

١. الاختلاف في مصداق الإمام المنصوص

٢. الاختلاف في صفات الإمام المنصوص

أمّا الاختلاف في المصداق فقال النوبختي ـ على ما حكى عنه الشيخ المفيد ـ: لمّا توفي أبو محمّد الحسن بن عليّ بن محمّد افترق أصحابه بعده ـ على ما حكاه أبومحمّد الحسن بن موسى النوبختي رضي الله عنه ـ أربع عشرة فرقة:

فقال الجمهور منهم بإمامة ابنه القائم المنتظر عليه السلام وأثبتوا ولادته وصحّحوا

النصّ عليه، وقالوا: هو سميّ رسول الله ومهدي الأنام، واعتقدوا أنّ له غيبتين إحداهما أطول من الأخرى، والأولى منهما هي القصرى، وله فيها الأبواب والسفراء، ورووا عن جماعة من شيوخهم وثقاتهم أنّ أبا محمّد الحسن عليه السلام أظهره لهم وأراهم شخصه. واختلفوا في سنّه عند وفاة أبيه، فقال كثير منهم: كان سنّه إذ ذاك خمس سنين، لأنّ أباه توفّي سنة ستين ومائتين، وكان مولد القائم عليه السلام سنة خمس وخمسين ومائتين. وقال بعضهم: بل كان مولده سنة اثنتين وخمسين ومائتين، وكان سنّه عند وفاة أبيه ثماني سنين. وقالوا: إنّ أباه لم يمت حتّى أكمل الله عقله وعلمه الحكمة وفصل الخطاب وأبانه من سائر الخلق بهذه الصفة، إذ كان خاتم الحجج ووصيّ الأوصياء وقائم الزمان.

واحتجّوا في جواز ذلك بدليل العقل من حيث ارتفعت إحالته ودخل تحت القدرة، وبقوله تعالى في قصّة عيسى عليه السلام: ﴿**ويكلّم النّاس في المهد**﴾، وفي قصّة يحيى عليه السلام: ﴿**وآتيناه الحكم صبياً**﴾. وقالوا: إنّ صاحب الأمر عليه السلام حيّ لم يمت ولا يموت ولو بقي ألف عام حتّى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وأنّه يكون عند ظهوره شاباً قويّاً في صورة ابن نيف وثلاثين سنة، وأثبتوا ذلك في معجزاته وجعلوه من جملة دلائله وآياته عليه السلام.

وقالت فرقة ممّن دانت بإمامة الحسن عليه السلام: إنّه حي لم يمت وإنّما غاب وهو القائم المنتظر.

وقالت فرقة أخرى: إنّ أبا محمّد عليه السلام مات وعاش بعد موته وهو القائم المهدي. واعتلّوا في ذلك بخبر رووه أنّ القائم إنّما سمّي بذلك لأنّه يقوم بعد الموت.

وقالت فرقة أخرى: إنّ أبا محمّد عليه السلام قد توفّي لا محالة، وإنّ الإمام من بعده أخوه جعفر بن عليّ. واعتلّوا في ذلك بالرواية عن أبي عبد الله عليه السلام: أنّ الإمام هو الذي لا يوجد منه ملجأ إلا إليه. قالوا: فلمّا لم نر للحسن عليه السلام ولداً ظاهراً التجأنا إلى القول بإمامة جعفر أخيه. ورجعت فرقة ممّن كانت تقول بإمامة الحسن عليه السلام

عن إمامته عند وفاته وقالوا: لم يكن إماماً وكان مدّعياً مبطلاً. وأنكروا إمامة أخيه محمّد، وقالوا: الإمام جعفر بن عليّ بنص أبيه عليه. قالوا: إنّما قلنا بذلك لأنّ محمّداً مات في حياة أبيه والإمام لا يموت في حياة أبيه. وأمّا الحسن عليه السلام فلم يكن له عقب والإمام لا يخرج من الدنيا حتّى يكون له عقب.

وقالت فرقة أخرى: إنّ الإمام محمّد بن عليّ أخو الحسن بن عليّ عليه السلام، ورجعوا عن إمامة الحسن عليه السلام وادّعوا حياة محمّد بعد أن كانوا ينكرون ذلك.

وقالت فرقة أخرى: إنّ الإمام بعد الحسن عليه السلام ابنه المنتظر وإنّه عليّ بن الحسن، وليس كما تقول القطعية إنّه محمّد بن الحسن وقالوا بعد ذلك بمقالة القطعية في الغيبة والانتظار حرفاً بحرف.

وقالت فرقة أخرى: إنّ القائم محمّد بن الحسن عليه السلام ولد بعد أبيه بثمانية أشهر وهو المنتظر، وأكذبوا من زعم الله ولد في حياة أبيه.

وقالت فرقة أخرى: إنّ أبا محمّد عليه السلام مات عن غير ولد ظاهر ولكن عن حبل من بعض جواريه والقائم من بعد الحسن محمول به، وما ولدته أمّه بعد وإنّه يجوز أنّها تبقى مائة سنة حاملاً به، فإذا ولدته أظهرت ولادته.

وقالت فرقة أخرى: إنّ الإمامة قد بطلت بعد الحسن عليه السلام فارتفعت الأئمة وليس في الأرض حجّة من آل محمّد وإنّما الحجّة الأخبار الواردة عن الأئمة المتقدّمين ، وزعموا أنّ ذلك سائغ إذا غضب الله على العباد فجعله عقوبة لهم.

وقالت فرقة أخرى: إنّ محمّد بن عليّ أخا الحسن بن عليّ عليه السلام كان الإمام في الحقيقة مع أبيه عليّ عليه السلام وإنّه لمّا حضرته الوفاة وصّى إلى غلام له يقال له نفيس وكان ثقة أميناً، ودفع إليه الكتب والسلاح ووصّاه أن يسلّمها إلى أخيه جعفر فسلّمها إليه وكانت الإمامة في جعفر بعد محمد على هذا الترتيب.

وقالت فرقة أخرى: وقد علمنا أنّ الحسن عليه السلام كان إماماً فلمّا قبض التبس

الأمر علينا فلا ندري أجعفر كان الإمام بعده أم غيره، والذي يجب علينا أن نقطع على أنّه لا بدّ من إمام ولا نقدّم على القول بإمامة أحد بعينه حتّى يتبين لنا ذلك.

وقالت فرقة أخرى: بل الإمام بعد الحسن ابنه محمّد وهو المنتظر غير أنّه قد مات وسيحيي ويقوم بالسيف فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وقالت الفرقة الرابع عشرة منهم: إنّ أبا محمّد عليه السلام كان الإمام من بعد أبيه، وإنّه لمّا حضرته الوفاة نصّ على أخيه جعفر بن عليّ بن محمّد بن عليّ وكان الإمام من بعده بالنصّ عليه والوراثة له، وزعموا أنّ الذي دعاهم إلى ذلك ما يجب في العقل من وجوب الإمامة مع فقدهم لولد الحسن عليه السلام وبطلان دعوى من ادّعى وجوده فيما زعموا من الإمامية.

ثمّ علّق عليه الشيخ المفيد بقوله: وليس من هؤلاء الفرق التي ذكرناها فرقة موجودة في زماننا هذا وهو من سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة إلا الإمامية الاثنا عشرية القائلة بإمامة ابن الحسن المسمّى باسم رسول الله القاطعة على حياته وبقائه إلى وقت قيامه بالسيف، وهم أكثر فرق الشيعة عدداً وعلماء ومتكلّمين ونظاراً وصالحين وعباداً ومتفقّهة وأصحاب حديث وأدباء وشعراء، وهم وجه الإمامية ورؤساء جماعتهم والمعتمد عليهم في الديانة. ومن سواهم منقرضون لا يعلم أحد من جملة الأربع عشرة فرقة التي قدّمنا ذكرها ظاهراً بمقالة ولا موجوداً على هذا الوصف من ديانته وإنّما الحاصل منهم حكاية عمّن سلف وأراجيف بوجود قوم منهم لا تثبت(١٣٠).

والشيخ الطوسي قسّمهم إلى تسعة فرق، وهم:

١. القائلون بأنّ الحسن بن عليّ لم يمت وهو حيّ باق وهو المهدي
٢. القائلون بأنّ الحسن بن عليّ يعيش بعد موته، وأنّه القائم بالأمر.
٣. من ذهب إلى الفترة بعد الحسن بن عليّ عليه السلام وخلو الزمان من إمام.

٤. القائلون بإمامة جعفر بن عليّ بعد أخيه عليه السلام.

٥. القائلون بأنّه لا ولد لأبي محمّد عليه السلام.

٦. من زعم أنّ الأمر قد اشتبه عليه فلا يدري هل لأبي محمّد عليه السلام ولد أم لا إلا أنّهم متمسّكون بالأوّل حتّى يصحّ لهم الآخر.

٧. القائلون بإمامة الحسن عليه السلام وإنّه انقطعت الإمامة كما انقطعت النبوّة.

٨. القائلون بأنّ للخلف ولداً وأنّ الأئمة ثلاثة عشر.

٩. القائلون بإمامة ولد أبي محمّد العسكري وإنّه القائم المنتظر.

ثمّ قال الشيخ: إنّ هذه الفرق كلّها قد انقرضت بحمد الله ولم يبق قائل يقول بقولها، وذلك دليل على بطلان هذه الأقاويل(١٣١).

أمّا الاختلاف في صفات الإمام فتجلّى ذلك في اختلاف مدرسة قم ومدرسة بغداد كما سبق منّا الإشارة إلى نزاع الشيخ المفيد والشيخ الصدوق، فنسب الشيخ الصدوق جماعة إلى الغلو على حين نسب الشيخ المفيد جماعة من علماء قم إلى التقصير!

اللّهم لم تجعلنا من المعاندين النّاصبين، ولا من الغلاة المفوّضين، ولا من المرتابين المقصّرين(١٣٢).

*** هوامش البحث ***

(١) واعلم أنّه لم نكن في المقام بصدد إثبات كون الأئمة عالمين بالغيب، فلا بدّ في إثبات ذلك من البحث حول كلّ أدلّة ـ نقلية كانت أم عقلية ـ تدلّ على ذلك أو تدلّ على خلافه، بل نحن في المقام بصدد النقض على منهج بعض المعاصرين فقط؛ سائلين المولى (عزّ وجلّ) أن نكون موفّقين في ذلك.

(٢) أ. ﴿ذلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكيلٌ﴾. الأنعام: ١٠٢.

ب. ﴿أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ أَإِلهٌ مَعَ اللهِ﴾. النمل: ٦٤.
ج. ﴿اللهُ الَّذي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُميتُكُمْ ثُمَّ يُحْييكُمْ﴾. الروم: ٤٠.
د. ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ﴾. فاطر:٣.
(٣) أ. ﴿وَعِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ ما فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُها وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُماتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ إِلاَّ فِي كِتابٍ مُبينٍ﴾. الأنعام: ٥٩.
ب. ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لله فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرينَ﴾. يونس: ٢٠.
ج. ﴿وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدي خَزائِنُ اللهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلا أَقُولُ لِلَّذينَ تَزْدَري أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْراً اللهُ أَعْلَمُ بِما فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَمِنَ الظَّالِمينَ﴾ هود: ٣١.
د. ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ وَما يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ النمل: ٦٥.
(٤) أ. ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لله يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفاصِلينَ﴾. الأنعام: ٥٧.
ب. ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لله أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾. يوسف: ٤٠.
ج. ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لله عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ يوسف: ٦٧.
(٥) مكتب در فرايند تكامل: ٥٧ـ٥٨.
(٦) أ. ﴿مَا الْمَسيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كانا يَأْكُلانِ الطَّعامَ﴾. المائدة: ٧٥.
ب. ﴿وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْواقِ﴾. الفرقان: ٢٠.
(٧) أ. ﴿قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدي خَزائِنُ اللهِ ولا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ ما يُوحى إِلَيَّ﴾. الأنعام: ٥٠.
ب. ﴿قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ﴾. الكهف: ١١٠؛ فصلت: ٦.
(٨) مكتب در فرايند تكامل: ٥٨.
(٩) مكتب در فرايند تكامل: ٥٩ـ٦١.
(١٠) مكتب در فرايند تكامل: ٦٢.
(١١) عن الحسن بن راشد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ إذا أحبّ أن يخلق الإمام أمر ملكاً فأخذ شربة من ماء تحت العرش فيسقيها أباه، فمن ذلك يخلق الإمام فيمكث أربعين يوماً وليلة في بطن أمه لا يسمع الصوت، ثمّ يسمع بعد ذلك الكلام فإذا ولد بعث ذلك الملك فيكتب بين عينيه ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فإذا مضى الإمام الذي كان قبله رفع لهذا منار من نور ينظر به إلى أعمال الخلائق

فبهذا يحتج الله على خلقه. الكافي: ١/ ٣٨٧، ح٢. ولاحظ الكافي: ١/ ٣٨٧، ح٣؛ تفسير العياشي: ١/ ٣٧٤، ح٨٣؛ الخصال: ٤٢٨.

(١٢) عن أسود بن سعيد قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فأنشأ يقول ابتداء من غير أن يسأل: نحن حجة الله ونحن باب الله ونحن لسان الله ونحن وجه الله ونحن عين الله في خلقه ونحن ولاة أمر الله في عباده. بصائر الدرجات: ١/ ٦١، ح١. ولاحظ أيضاً بصائر الدرجات: ١/ ٦١ـ٦٦؛ الكافي: ١/ ١٤٣ـ١٤٥.

(١٣) عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله أدّب نبيّه حتّى إذا أقامه على ما أراد قال له: ﴿**وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ**﴾ فلمّا فعل ذلك له رسول الله زكّاه الله فقال: ﴿**إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ فلمّا زكّاه فوّض إليه دينه فقال: ﴿**ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ فحرّم الله الخمر وحرّم رسول الله كلّ مسكر فأجاز الله ذلك كلّه وإنّ الله أنزل الصلاة وإنّ رسول الله وقت أوقاتها فأجاز الله ذلك له. بصائر الدرجات: ١/ ٣٧٩، ح٥. ولاحظ بصائر الدرجات: ١/ ٣٧٨ـ٣٨٧؛ الكافي: ١/ ٢٦٦ـ٢٦٨.

(١٤) مكتب در فرايند تكامل: ٧٤.

(١٥) روى الكشي مسنداً عن أبي العبّاس البقباق قال: تذاكر ابن أبي يعفور ومعلّى بن خنيس، فقال ابن أبي يعفور: الأوصياء علماء أبرار أتقياء، وقال ابن خنيس: الأوصياء أنبياء، قال: فدخلا على أبي عبد الله عليه السلام قال: فلمّا استقرّ مجلسهما قال: فبدأهما أبو عبد الله عليه السلام فقال: يا عبد الله ابرأ ممّن قال إنّا أنبياء. لاحظ اختيار الرجال، الرقم: ٤٥٦.

(١٦) روى الكشي بالإسناد عن الحسن الوشّاء، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: شهدت جنازة عبد الله بن أبي يعفور؟ قلت: نعم، وكان فيها ناس كثير، قال: أما إنّك سترى فيها من مرجئة الشّيعة كثيراً. لاحظ اختيار الرجال، الرقم: ٤٥٨.

(١٧) مكتب در فرايند تكامل: ٨٣.

(١٨) رجال النجاشي، الرقم: ٤٩٠.

(١٩) رجال النجاشي، الرقم: ٨٩٤.

(٢٠) لاحظ اختيار الرجال، الرقم: ٩٩٠

(٢١) رجال النجاشي، الرقم: ٨٩١.

(٢٢) قال الشيخ المفيد : قد سمعنا حكاية ظاهرة عن أبي جعفر محمد بن الحسن بن الوليد لم نجد لها دافعاً في التقصير. وهي ما حكي عنه أنّه قال: أوّل درجة في الغلو نفي السهو عن النبيّ والإمام عليهما السلام، فإن صحّت هذه الحكاية عنه فهو مقصّر مع أنّه من علماء القميين ومشيختهم. وقد وجدنا جماعة وردوا إلينا من قم يقصّرون تقصيراً ظاهراً في الدين وينزلون الأئمة عن مراتبهم. تصحيح اعتقادات الإمامية: ١٣٥ـ١٣٦.

(٢٣) مكتب در فرايند تكامل: ٨٤ـ٨٥.

(٢٤) إنّ نظرنا في هذا المقام بالنسبة إلى القسم الثاني من كتاب مكتب در فرايند تكامل: «غلو، تقصير وراه ميانه». مع أنّك تجد في كلامه جهات أخر للبحث أيضاً كالقول بأنّ هشام بن حكم طرح نظرية العصمة لأوّل مرة. مكتب در فرايند تكامل: ٣٨. مع أنّه لم يذكر مستنداً معتبراً لكلامه. وإن كان مستنده كتاب مقالات الإسلاميين للأشعري ـ كما هو المظنون ـ فاستنباط ذلك منه محلّ تأمّل حيث إنّه ورد في كتاب مقالات الإسلاميين هكذا: اختلفت الروافض في الرسول عليه السلام هل يجوز عليه أن يعصى أم لا، وهم فرقتان: فالفرقة الأولى منهم يزعمون أنّ الرسول جائز عليه أن يعصى الله وأنّ النبيّ قد عصى في أخذ الفداء يوم بدر، فأمّا الأئمّة فلا يجوز ذلك عليهم، لأنّ الرسول إذا عصى فالوحي يأتيه من قبل الله والأئمّة لا يوحى إليهم ولا تهبط الملائكة عليهم وهم معصومون فلا يجوز عليهم أن يسهوا ولا يغلطوا وإن جاز على الرسول العصيان. والقائل بهذا القول هشام بن الحكم. والفرقة الثانية منهم يزعمون أنّه لا يجوز على الرسول عليه السلام أن يعصى الله (عزّ وجلّ) ولا يجوز ذلك على الأئمة لأنّهم جميعاً حجج الله وهم معصومون من الزلل، إلى آخر كلامه. مقالات الإسلاميين: ٤٨ـ٤٩. فمن أيّ موضع منه يستنبط أنّ هشام هو مبدع نظرية العصمة؟!

(٢٥) علل الشرائع: ١/ ١٧٠، ح٢. ولاحظ أيضاً الإرشاد: ١/ ٤٩ـ٥٠؛ الأمالي: ٥٨١ـ٥٨٣، ح١١؛ مسند أحمد بن حنبل: ١/ ١١١؛ مجمع الزوائد: ٨/ ٣٠٢؛ تفسير ابن أبي حاتم: ٩/ ٢٨٢٦؛ تاريخ الطبري: ٢/ ٦٤.

(٢٦) حديث «من كنت مولاه فعليّ مولاه» من الروايات المتواترة، فهو مرويّ عن:

أ. أمير المؤمنين عليه السلام مسند أحمد بن حنبل: ١/ ٨٤؛ كتاب السنّة: ٥٩٠ـ٥٩١، ح١٣٥٨؛ مسند أبي يعلى: ١/ ٤٢٨ـ٤٣٠، ح٥٦٧؛ المعجم الأوسط: ٢/ ٣٢٤.

ب. وابن عبّاس. مسند أحمد بن حنبل: ١/ ٣٣١؛ تاريخ بغداد: ١٢/ ٣٤٠.

ج. والبراء بن عازب مسند أحمد بن حنبل: ٤/ ٢٨١؛ المصنّف لابن أبي شيبة الكوفي: ٧/ ٥٠٣.

د. وزيد بن أرقم. مسند أحمد بن حنبل: ٤/ ٣٦٨؛ ٤/ ٣٧٢؛ المستدرك: ٣/ ١٠٩؛ المعجم الأوسط: ٢/ ٢٧٥؛ المعجم الكبير: ٥/ ١٧٠

هـ. وبريدة الأسلمي. مسند أحمد بن حنبل: ٥/ ٣٤٧؛ فضائل الصحابة: ١٤؛ المستدرك: ٣/ ١١٠؛ المصنّف لعبد الرزاق الصنعاني: ١١/ ٢٢٥.

و. وسعد بن أبي وقاص. سنن ابن ماجة: ١/ ٤٥، ح١٢١؛ المستدرك: ٣/ ١١٦؛ تاريخ مدينة دمشق: ١٨/ ١٣٨.

ز. وجابر بن عبد الله. المصنّف لابن أبي شيبة الكوفي: ٧/ ٤٩٥؛ كتاب السنّة: ٥٩٠، ح١٣٥٦.

ح. وأبي هريرة. المصنّف لابن أبي شيبة الكوفي: ٧/ ٤٩٩؛ مسند أبي يعلى: ١١/ ٣٠٧،

ح٦٤٢٣؛ المعجم الأوسط: ٢/ ٢٤.
ط. وأبي أيّوب الأنصاري. كتاب السنّة: ٥٩٠، ح١٣٥٥؛ المعجم الكبير: ٤/ ١٧٣.
ي. وابن عمر. كتاب السنّة: ٥٩٠، ح١٣٥٧؛ الكامل: ٥/ ٣٣.
يا. وطلحة. كتاب السنّة: ٥٩٠ـ٥٩١، ح١٣٥٨.
يب. وأبي سعيد الخدري. المعجم الأوسط: ٨/ ٢١٣؛ التاريخ الكبير: ٤/ ١٩٣.
يج. وحبشي بن جنادة. المعجم الكبير: ٤/ ١٧؛ الكامل: ٣/ ٢٥٦.
يد. وعمرو بن ذي مر. المعجم الكبير: ٥/ ١٩٢.
يه. ومالك بن الحويرث. المعجم الكبير: ١٩/ ٢٩١.
يو. وأنس. تاريخ بغداد: ٧/ ٣٨٩.
وغيرهم. وللتفصيل لاحظ رسالة طرق حديث من كنت مولاه للسيّد عبد العزيز الطباطبائي.

(٢٧) مسند أحمد بن حنبل: ١/ ٣٢٤؛ ١/ ٣٣٦؛ صحيح البخاري: ١/ ٣٧؛ ٥/ ١٣٧؛ ٧/ ٩؛ ٨/ ١٦١؛ صحيح مسلم: ٥/ ٧٦؛ المصنّف لعبد الرزّاق الصنعاني: ٥/ ٤٣٨، ح٩٧٥٧؛ صحيح ابن حبان: ١٤/ ٥٦٢؛ الطبقات الكبرى: ٢/ ٢٤٢.

(٢٨) لاحظ اختيار الرجال، الرقم: ١٦٦.

(٢٩) لاحظ اختيار الرجال، الرقم: ١١٤.

(٣٠) لاحظ اختيار الرجال، الرقم: ٢٤.

(٣١) لاحظ اختيار الرجال، الرقم: ١٩٤.

(٣٢) . رجال النجاشي، الرقم: ٧.

(٣٣) لاحظ اختيار الرجال، الرقم: ١٤٠.

(٣٤) لاحظ اختيار الرجال، الرقم: ٢٠.

(٣٥) لاحظ اختيار الرجال، الرقم: ١٧٨.

(٣٦) لاحظ اختيار الرجال، الرقم: ١٤٦.

(٣٧) لاحظ اختيار الرجال، الرقم: ١٦٢.

(٣٨) اختيار الرجال، الرقم: ١٧٦.

(٣٩) والنسبة غير صحيحة بل الكتاب لزين الدين بن محسن العاملي. وللتفصيل لاحظ مقالة «حقيقة الإيمان شهيد ثاني يا إيضاح البيان زين الدين بن محسن عاملي» بقلم: رضا المختاري، المنشورة في مجلة كتاب الشيعة، العدد ٢.

(٤٠) حقائق الإيمان: ١٥٠ـ١٥١.

(٤١) فعن ربيعة بن عباد الديلي قال: رأيت رسول الله بسوق ذي المجاز يقول: يا أيّها الناس قولوا لا إله الله تفلحوا. مسند أحمد بن حنبل: ٣/ ٤٩٢. ولاحظ أيضاً مسند أحمد بن حنبل:

٤/ ٣٤١؛ ٥/ ٣٧١؛ ٥/ ٣٧٦؛ المستدرك: ١/ ١٥؛ ٢/ ٦١٢؛ المعجم الكبير: ٥/ ٦١؛ ٨/ ٣١٤؛ ٢٠/ ٣٤٣؛ سنن الدارقطني: ٣/ ٤٠؛ الطبقات الكبرى: ١/ ٢١٦؛ ٦/ ٤٢.

(٤٢) قرب الإسناد: ٤٧، ح١٥٤ـ١٥٥؛ الكافي: ٢/ ٣٨٦، ح٩؛ من لا يحضره الفقيه: ١/ ٢٠٦، ح٦١٦ ؛ ثواب الأعمال: ٢٣١، ح١٤؛ سنن الدارمي: ١/ ٢٨٠؛ سنن ابن ماجة: ١/ ٣٤٢، ح١٠٧٨ـ١٠٨٠؛ سنن أبي داود: ٢/ ٤٠٨، ح٤٦٧٨؛ سنن الترمذي: ٤/ ١٢٥؛ ح٢٧٥٣؛ المصنّف لابن أبي شيبة الكوفي: ٧/ ٢٢٢، ح٤٣؛ مسند أبي يعلى: ٣/ ٣١٨، ح١٧٨٣؛ ٤/ ٧٩، ح٢١٠٢؛ صحيح ابن حبان: ٤/ ٣٠٤؛ المعجم الأوسط: ٤/ ٢٥٥؛ المعجم الصغير: ١/ ١٣٤؛ سنن الدارقطني: ٢/ ٤١، ح١٧٣٦.

(٤٣) الكافي: ٤/ ٢٦٨، ح١؛ ٤/ ٢٦٩، ح٥؛ من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٤٤٧، ح٢٩٣٥؛ ثواب الأعمال: ٢٣٦؛ سنن الدارمي: ٢/ ٢٨ـ٢٩؛ المصنّف لابن أبي شيبة الكوفي: ٤/ ٣٩٢، ح١؛ الكامل: ٤/ ٣١٢.

(٤٤) النساء: ٥٩.

(٤٥) اختيار الرجال، الرقم: ٧٩٩.

(٤٦) تفسير العياشي: ١/ ٢٥٢، ح١٧٥.

(٤٧) أوائل المقالات: ٣٩ـ٤٠.

(٤٨) ولاحظ تفصيل ذلك في ملحق هذه الضميمة في خاتمتها.

(٤٩) واعلم أنّ كتاب بصائر الدرجات مشتمل على ١٠ أجزاء بحسب تجزئة الصفار ، ففي المقام الرقم الأوّل عدد الجزء، والرقم الثاني عدد الباب. فمثلاً إذا قلنا ١/ ٥ أي الباب الخامس من الجزء الأول.

(٥٠) المجموع: ٨٧٦ رواية، وما روي عن الصادقين : ٧٠٦ رواية (المروي عن الإمام الباقر عليه السلام : ٢٢٣ رواية + المروي عن الإمام الصادق عليه السلام : ٤٨٣ رواية): أي قريب من ٨١٪.

(٥١) الفوائد الرجالية: ٣٨.

(٥٢) تنقيح المقال، المقدمة، الفائدة ٢٥.

(٥٣) لاحظ هذه الدعوى بالتفصيل في مقالة «قرائت فراموش شده، بازخوانى نظريه علماى ابرار»، بقلم الشيخ محسن كديور، فصل نامه مدرسه، الرقم: ٣، ص٩٢ـ١٠٢

(٥٤) كما أنّه لم يرد على المامقاني ومن سلك مسلكه بأنّه ما الدليل على كون الحقّ في المسألة مع المتأخّرين دون القدماء؟ لاحظ هذه الدعوى بالتفصيل في سه گفتار در غلو پژوهي: ٩٤.

(٥٥) وعلى سبيل المثال لاحظ ١/ ٢٢، ح٧ و٩ و١٣؛ ٢/ ١، ح١؛ ٢/ ٢٠، ح٣ و١١؛ ٤/ ٧، ح٣؛ ٥/ ٣، ح٩؛ ٦/ ١١، ح٩؛ ٦/ ١٣، ح٤؛ ٧/ ١، ح١و٢؛ ٧/ ١٥، ح٤ و٥ و١١.

(٥٦) وعلى سبيل المثال لاحظ ١/ ٢٢، ح١١ و١٢؛ ٢/ ٣، ح٢؛ ٢/ ١٥، ح٥ و٧؛ ٢/ ٢١، ح٩؛

٤/ ٧، ح٩.

(٥٧) وعلى سبيل المثال لاحظ ١/ ٧، ح٢؛ ٢/ ١، ح٢ و٩؛ ٢/ ١٧، ح٦؛ ٢/ ١٩، ح٤؛ ٣/ ٣، ح٤؛ ٦/ ٨، ح٤؛ ٦/ ١٨، ح١ و٣.

(٥٨) وعلى سبيل المثال لاحظ ٢/ ١، ح٨؛ ٢/ ٣، ح١٢؛ ٢/ ١٧، ح٢٢؛ ٢/ ١٩، ح٩ و١٣؛ ٣/ ١، ح٣؛ ٣/ ٥، ح٧.

(٥٩) وعلى سبيل المثال لاحظ ١/ ٢٢، ح١٥ و١٦؛ ٢/ ٣، ح٦؛ ٣/ ٣، ح١ و٣؛ ٤/ ١١، ح٨ و١٢؛ ٥/ ١، ح٩.

(٦٠) كما هو الحال في الفقرة الأخيرة من دعاء يوم العرفة للإمام الحسين عليه السلام، أو كتاب مصباح الشريعة المنسوب إلى الإمام الصادق عليه السلام، أو كتاب التقسيم الذي نسبه خليل بن شاهين الظاهري إليه عليه السلام.

(٦١) فمنه يظهر الحال في من ذهب إلى أنّ المستند في إسناد هذه الصفات كتاب مشارق أنوار اليقين للبرسي وأمثاله، بل القول بأنّ المستند في ذلك مصادر مجهولة. لاحظ سه گفتار در غلو پژوهي: ٨٦.

(٦٢) الفهرست، الرقم: ٦٢٢.

(٦٣) ولاحظ أيضاً الهامش اللاحق.

(٦٤) رجال النجاشي، الرقم: ٩٤٨.

قد ادّعى بعض المعاصرين من أنّ مدوّن بصائر الدرجات هو محمّد بن يحيى العطّار، فإنّه استخرج أحاديث هذا الكتاب من بصائر الدرجات لسعد بن عبد الله الأشعري ثمّ أضاف فيه أحاديث أخر، إلا أنّه سمّى هذا الأثر الجديد ببصائر الدرجات تنبيهاً على أصله وهو كتاب بصائر الدرجات لسعد بن عبد الله الأشعري. لاحظ تفصيل ذلك في مقالة «مدخل مطالعه اى تفصيلى درباره كتاب بصائر الدرجات و هويت نويسنده آن» للدكتور حسن الأنصاري في موقع كاتبان.

ولكن هذا مخالف لما في النجاشي والشيخ في ترجمة الصفّار وترجمة محمّد بن يحيى العطّار حيث إنّهما ذكرا في ترجمة الصفّار كتاب البصائر ولم يذكرا كتاباً بهذا العنوان في ترجمة العطّار. هذا أوّلاً.

وثانياً إنّ النجاشي والشيخ وإن ذكرا أنّ ابن الوليد لم يرو كتاب بصائر الدرجات إلا أنّ الاستظهار الصحيح من كلامهما أنّ الصدوق لم يرو هذا الكتاب بواسطة ابن الوليد، إلا أنّ ابن أبي جيد روى هذا الكتاب بواسطة ابن الوليد.

وثالثاً إنّا بالتتبّع في أسانيد الصدوق نجد روايات كثيرة رواها الصدوق بواسطة ابن الوليد عن الصفّار، وهذه الروايات ـ بعينها ـ موجودة في البصائر. وعلى سبيل المثال لاحظ بصائر

الدرجات: ١/ ٤١٥، ح٥ وقارنه مع الأمالي: ٢١٦، ح٤؛ بصائر الدرجات: ١/ ٣٠٦، ح١٦ = الخصال: ٢/ ٦٤٤، ح٢٤؛ بصائر الدرجات: ١/ ٣٠٩، ح٣ = الخصال: ٢/ ٦٥١، ح٥٠؛ بصائر الدرجات: ١/ ٨، ح٩ = ثواب الأعمال: ١٣١؛ بصائر الدرجات: ١/ ٤١٤، ح١ = علل الشرائع: ١/ ١٦٤، ح٤. وهذا إن دلّ على شيء دلّ على أنّ الصدوق روى كتاب البصائر بواسطة ابن الوليد عن الصفّار.

(٦٥) رجال النجاشي، الرقم: ٩٤٦.

(٦٦) والشيء الغريب ـ بل المضحك ـ في المقام نسبة القول بعدم العصمة إلى جماعة من قدماء أصحابنا مع أنّ الثابت عنهم خلافه، وهم: الشيخ الصدوق، والشيخ المفيد، والسيد المرتضى، والشيخ الطوسي. لاحظ راه نجات از شر غلات، حيدر علي قلمداران، ١٦٥ـ١٨٦.

فإنّ الثابت عنهم ـ كما قلنا ـ خلافه.

فقال الصدوق : يجب أن يعتقد أنّهم [أي الأئمة] أولوا الأمر الذين أمر الله بطاعتهم، وأنّهم الشهداء على الناس، وأنهم أبواب الله والسبيل إليه، إلى أن قال: وأنهم معصومون من الخطأ والزلل، وأنّهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. الهداية: ١/ ٣١ـ٣٤.

وقال في موضع آخر: اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمّة والملائكة ـ صلوات الله عليهم ـ أنّهم معصومون مطهّرون من كلّ دنس، وأنّهم لا يذنبون ذنباً، لا صغيراً ولا كبيراً، و﴿**لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ، وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ**﴾. ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم. اعتقادات الإماميه: ٩٦.

وقال الشيخ المفيد : اتّفقت الإمامية على أنّ إمام الدين لا يكون إلا معصوماً من الخلاف لله تعالى عالماً بجميع علوم الدين كاملا في الفضل بائناً من الكلّ بالفضل عليهم في الأعمال التي يستحقّ بها النعيم المقيم. أوائل المقالات: ٣٩ـ٤٠.

وقال في موضع آخر: الأنبياء والأئمة من بعدهم معصومون في حال نبوتهم وإمامتهم من الكبائر كلّها والصغائر والعقل يجوز عليهم ترك مندوب إليه على غير التعمّد للتقصير والعصيان ولا يجوز عليهم ترك مفترض إلا أنّ نبيّنا والأئمة من بعده كانوا سالمين من ترك المندوب والمفترض قبل حال إمامتهم وبعدها. تصحيح اعتقادات الإمامية: ١٢٨.

وقال السيّد المرتضى : وأوجب في الإمام عصمته، إلى أن قال: فإذا وجبت عصمته وجب النصّ من الله تعالى عليه وبطل اختيار الإمامة، لأنّ العصمة لا طريق للأنام إلى العلم بمن هو عليها. جمل العلم والعمل: ٤٢.

وقال في موضع آخر: نطلق في الأنبياء والأئمة العصمة بلا تقييد، لأنّهم عندنا لا يفعلون شيئاً من القبائح. دون ما يقوله المعتزلة من نفي الكبائر عنهم دون الصغائر. رسائل الشريف

المرتضى: ٣/ ٣٢٦.

وقال الشيخ الطوسي : يجب أن يكون الإمام معصوماً من القبائح والاخلال بالواجبات. الاقتصاد: ١٨٩.

وقال في موضع آخر: إنّ من شرط الرئيس أن يكون مقطوعاً على عصمته. الغيبة: ٣.

ولا ينكر صراحة هذه النصوص في العصمة إلا مكابر أو معاند.

(٦٧) من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٦١٠ـ٦١٧.

(٦٨) اعتقادات الإماميه: ٩٦.

(٦٩) وعلى سبيل المثال لاحظ ١/ ٢٢، ح٥ و١٠ و١٧؛ ٣/ ٤، ح٣؛ ٦/ ١٧، ح١.

(٧٠) وعلى سبيل المثال لاحظ٥/ ١١، ح٨.

(٧١) وعلى سبيل المثال لاحظ ٧/ ١٠، ح٢ و٣ و٧؛ ٩/ ٧، ح٣ و٩.

(٧٢) وعلى سبيل المثال لاحظ ٢/ ٣، ح١١ و١٦؛ ٤/ ١٠، ح٤ و٨؛ ٤/ ١١، ح١؛ ٥/ ١، ح١٢ و٢٠؛ ٥/ ٩، ح٨ و١٠.

(٧٣) وعلى سبيل المثال لاحظ ٢/ ١٦، ح١.

(٧٤) وعلى سبيل المثال لاحظ ١/ ٢٢، ح٤؛ ٢/ ٢، ح١؛ ٢/ ١٥، ح٦؛ ٢/ ١٧، ح٦ و١٢.

(٧٥) وعلى سبيل المثال لاحظ ٢/ ١٧، ح١٠؛ ٣/ ١، ح٩؛ ٣/ ٦، ح٢ و٥ و٦؛ ٦/ ١٧، ح٦؛ ٦/ ١٨، ح٨

(٧٦) وعلى سبيل المثال لاحظ ٣/ ١، ح٤؛ ٤/ ٧، ٨؛ ٥/ ٨، ح٢؛ ٥/ ١٠، ح٦ و١٩؛ ٦/ ٩، ح٣؛ ٦/ ١١، ح٢ و٥ و٦.

(٧٧) وعلى سبيل المثال لاحظ ٢/ ١٥، ح٤؛ ٢/ ٢١، ح١٣؛ ٦/ ١٠، ح١؛ ٦/ ١٥، ح١و٣.

(٧٨) وعلى سبيل المثال لاحظ ٣/ ٥، ح٦؛ ٧/ ٥، ح٦؛ ٨/ ١٠، ح١ و٦.

(٧٩) وعلى سبيل المثال لاحظ ٣/ ٢، ح٤؛ ٢/ ١٩، ح٧؛ ٧/ ٦، ح٢ و٧.

(٨٠) وعلى سبيل المثال لاحظ ٢/ ١٧، ح٢١؛ ٥/ ١، ح١؛ ٥/ ٣، ح١.

(٨١) وعلى سبيل المثال لاحظ ٣/ ٣، ح١؛ ٦/ ٢، ح٥؛ ٦/ ٨، ح٢.

(٨٢) وعلى سبيل المثال لاحظ ٢/ ٢١، ح١٥؛ ٥/ ٢، ح٢؛ ٥/ ٣، ح٣؛ ٩/ ٤، ح١٢.

(٨٣) وعلى سبيل المثال لاحظ ٢/ ٢٠، ح٢.

(٨٤) وعلى سبيل المثال لاحظ ٣/ ٣، ح١؛ ٦/ ٢، ح٣؛ ٦/ ٨، ح٥.

(٨٥) وعلى سبيل المثال لاحظ ٢/ ١، ح٨؛ ٢/ ١٩، ح٩ و١٣؛ ٨/ ٩، ح٩؛ ١٠/ ٨، ح٣.

(٨٦) وعلى سبيل المثال لاحظ ٢/ ٣، ح٦ و١٢؛ ٧/ ٤، ح١؛ ١٠/ ٠، ح١٠.

(٨٧) وعلى سبيل المثال لاحظ ٢/ ١٧، ح٥؛ ٧/ ٢، ح٤؛ ٧/ ١١، ح٤؛ ٩/ ١٥، ح٣و٦.

(٨٨) وعلى سبيل المثال لاحظ٢/ ١، ح٥؛ ٢/ ٢١، ح٥ و١٤ و١٦؛ ٣/ ١، ح١؛ ٤/ ٧، ح٧.

(٨٩) وعلى سبيل المثال لاحظ٣/ ٢، ح١ـ٣؛ ٤/ ٧، ح٢ و٤؛ ٥/ ٩، ١ـ٣؛ ٦/ ١١، ح٣.
(٩٠) موسوعة الإمام الخوئي: ١٤/ ١٠٧.
(٩١) آل عمران: ٤٤؛ يوسف: ١٠٢.
(٩٢) هود: ٤٩.
(٩٣) الكهف: ٦٥.
(٩٤) الكهف: ٨٤.
(٩٥) الشورى: ٥٢.
(٩٦) الحديد: ٢٥
(٩٧) الجنّ: ٢٦ـ٢٧.
(٩٨) الأنبياء:٢٧.
(٩٩) لاحظ اختيار الرجال، الرقم: ٣٧٤.
(١٠٠) لاحظ الإمامة الإلهية: ٢/ ٣٩ـ٤٠. وكون هذه الضابطة لمرحلة الثبوت دون الإثبات أوضح من أن يخفى، أي أنّا لم ننكر إسناد كلّ صفة ما لم تكن من الصفات المختصّة بالله (عزّ وجلّ)، ولكن استناد أيّ صفة إليهم موقوف على دليل ولو كان الدليل عموم رواية. لاحظ سه گفتار در غلو پژوهي: ٧٥.
وأضعف منه القول بأنّ إسناد هذه الصفات إلى الأئمة ينافي كونهم أسوة، لأنّه كيف يمكن القول بأنّ ما جرى في ليلة المبيت ـ مثلاً ـ فضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام مع أنّه عليه السلام عالم بما يكون؟! وكيف نتأسّي في ذلك بهم مع الفارق بينهم وبيننا؟! لاحظ سه گفتار در غلو پژوهي: ١٥٤.
ففيه أوّلاً: قد ورد في بعض النصوص عن النبيّ : «تخلّقوا بأخلاق الله». لاحظ تفسير الرازي: ٧/ ٧٢؛ روضة المتقين: ١/ ٣١٢؛ بحار الأنوار: ٥٨/ ١٢٩. بل لعلّه أصل عند علماء الأخلاق ولو لم نقل بكونه خبراً. لاحظ المقصد الأسنى: ١٦٢؛ جامع السعادات: ٣/ ١١٦. فالتأسّي بهم كان في العدل والإحسان ، والصبر والرفق والصدق ، والعفو والحلم ، والجود والكرم ، والحبّ والأمانة ، والنظم والانضباط ، والوفاء والاستقامة ، والتدبير والحكمة ، ومناصرة الحقّ والمؤمنين، وغير ذلك.
وثانياً: القول بثبوت علم الغيب لهم يوجب مزية الفضيلة لهم فحيث إنّ سيّد الشهداء عليه السلام ـ مثلاً ـ يعلم بأنّه يقتل وحيداً فريداً ومع ذلك جاهد في الله (عزّ وجلّ) فيمكن لنا التأسّي بهم.
وثالثاً: قد ورد في نصوص كثيرة بأنّ الإمام عليه السلام إن شاء أن يعلم العلم علم. لاحظ بصائر الدرجات: ١/ ٣١٥، ح١ـ٥؛ الكافي: ١/ ٢٥٨، ح١ـ٣.

ورابعاً: أنّ كثيراً من الفضائل لم ترتبط بعلم الغيب حتّى لا يمكن لنا التأسّي بهم في فرض كونهم عالمين بالغيب. وهذا مثل البرّ، والإحسان، واللطف، وإفاضة الخير والرحمة على الخلق، وإرشادهم إلى الحقّ، والصبر والصدق، والعفو والحلم، وغير ذلك.

(١٠١) ﴿**أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتى بِإِذْنِ اللهِ**﴾. آل عمران: ٤٩. وتكرار ﴿**بِإِذْنِ اللهِ**﴾ للتنبيه على عدم الملازمة.

(١٠٢) الزخرف: ٨٤.

(١٠٣) اختيار الرجال، الرقم: ٥٣٨.

(١٠٤) اعتقادات الإماميه: ١٠٠.

(١٠٥) الأمالي: ٦٥٠، ح١٢.

(١٠٦) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٥٥، ح٢٨؛ الإحتجاج: ٢/ ٤٣٧.

(١٠٧) الأمالي: ٩٦، ح١. ولاحظ أيضاً الكافي: ٨/ ٥٧، ح١٨؛ الأمالي: ٦١١، ح٩؛ الخصال: ٢/ ٥٧٥، ح١

(١٠٨) الكافي: ١/ ٢٧٠، ح٢.

(١٠٩) الكافي: ١/ ٢٧١، ح٥.

(١١٠) لاحظ اختيار الرجال، الرقم: ٤٥٦.

(١١١) بصائر الدرجات: ١/ ٢٥٨، ح٢.

(١١٢) عن فضيل بن يسار قال: قال الصادق عليه السلام: إلينا يرجع الغالي فلا نقبله، وبنا يلحق المقصر فنقبله. فقيل له: كيف ذلك، يا ابن رسول الله؟ قال: لأنّ الغالي قد اعتاد ترك الصلاة والزكاة والصيام والحجّ، فلا يقدر على ترك عادته، وعلى الرجوع إلى طاعة الله (عزّ وجلّ) أبداً، وإنّ المقصّر إذا عرف عمل وأطاع. الأمالي للشيخ الطوسي: ٦٥٠، ح١٢.

وقال الكشي في أصحاب محمّد بن بشير: قالوا بإباحة المحارم والفروج والغلمان، واعتلوا في ذلك بقول الله تعالى: ﴿**أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْراناً وَإِناثاً**﴾. لاحظ اختيار الرجال، الرقم: ٩٠٧.

(١١٣) روى الكشي مسنداً عن عليّ بن عقبة، عن أبيه، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام قال: فسلّمت وجلست، فقال لي: كان في مجلسك هذا أبو الخطّاب، ومعه سبعون رجلاً كلّهم إليه يتألّم منهم شيء رحمتهم، فقلت لهم: ألا أخبركم بفضائل المسلم؟ فلا أحسب أصغرهم إلا قال: بلى جعلت فداك، قلت: من فضائل المسلم أن يقال: فلان قارئ لكتاب الله (عزّ وجلّ)، وفلان ذو حظّ من ورع، وفلان يجتهد في عبادته لربّه، فهذه فضائل المسلم، ما لكم وللرّئاسات! إنّما المسلمون رأس واحد، إيّاكم والرّجال فإنّ الرّجال للرّجال مهلكة، فإنّي سمعت أبي يقول: إنّ شيطاناً يقال له المذهب يأتي في كلّ صورة، إلا أنّه لا يأتي في صورة نبيّ

ولا وصيّ نبيّ، ولا أحسبه إلا وقد تراءى لصاحبكم فاحذروه! فبلّغني أنّهم قتلوا معه فأبعدهم الله وأسحقهم أنّه لا يهلك على الله إلا هالك. لاحظ اختيار الرجال، الرقم: ٥١٦.

(١١٤) عن أبي أسامة قال: قال رجل لأبي عبد الله عليه السلام: أؤخّر المغرب حتّى تستبين النّجوم؟ قال: فقال: خطّابيّة! إنّ جبرئيل أنزلها على رسول الله صلى الله عليه وآله حين سقط القرص. اختيار الرجال، الرقم: ٥١٦. ولاحظ اختيار الرجال، الرقم ٤٠٧ و٥١٨.

(١١٥) الغيبة (للطوسي): ٣٤٦ـ٣٤٧.

(١١٦) رجال النجاشي، الرقم: ١١١٢. ولاحظ أيضاً رجال ابن الغضائري: ٨٧ـ٨٨.

(١١٧) لاحظ اختيار الرجال، الرقم: ٥٩٢.

(١١٨) اختيار الرجال، الرقم: ٢٥١. ولاحظ أيضاً اختيار الرجال، الرقم: ٢٥٢ـ٢٥٦.

(١١٩) أي منصور الدوانيقي.

(١٢٠) اختيار الرجال، الرقم: ٥٠٢. ولاحظ أيضاً الكافي: ١/ ٣٥١، ح٧.

(١٢١) الزخرف: ٤٠.

(١٢٢) الأنعام: ١٢٥.

(١٢٣) القصص: ٥٦.

(١٢٤) الغيبة: ٧١ـ٧٢.

(١٢٥) اختيار الرجال، الرقم: ٨٥٥.

(١٢٦) اختيار الرجال، الرقم: ٦٦٣. ولاحظ أيضاً الغيبة للنعماني: ٣٢٤ـ٣٢٦، ح٢.

(١٢٧) اختيار الرجال، الرقم: ٧٩٢. ولاحظ أيضاً الكافي: ٢/ ٢٣، ح١٤. وكذا اختيار الرجال، الرقم: ٧٩٦ و٧٩٩.

(١٢٨) من لا يحضره الفقيه: ١/ ٣٦٠.

(١٢٩) تصحيح اعتقادات الإمامية: ١٣٥ـ١٣٦.

(١٣٠) الفصول المختارة: ٣١٨ـ٣٢١. ولاحظ أيضاً فرق الشيعة للنوبختي وكذا المقالات للأشعري.

(١٣١) الغيبة: ٢٢٨ـ٢١٨.

(١٣٢) المزار الكبير: ٦٥٧.